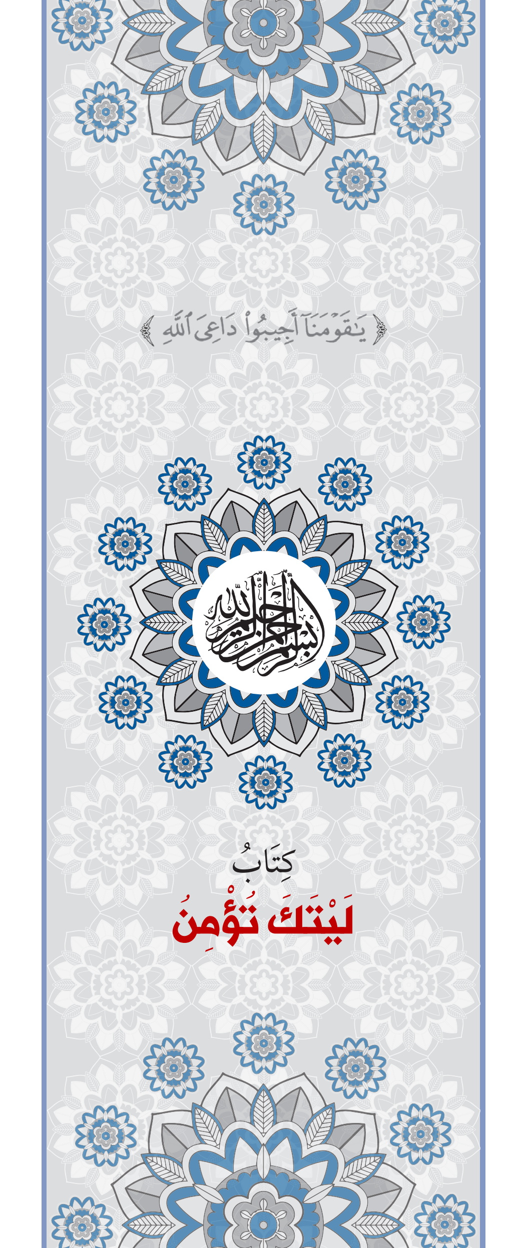


﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم
كِتَابُ
لَيْتَكَ تُؤْمِنُ



ISBN: 978-605-2107-80-5

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



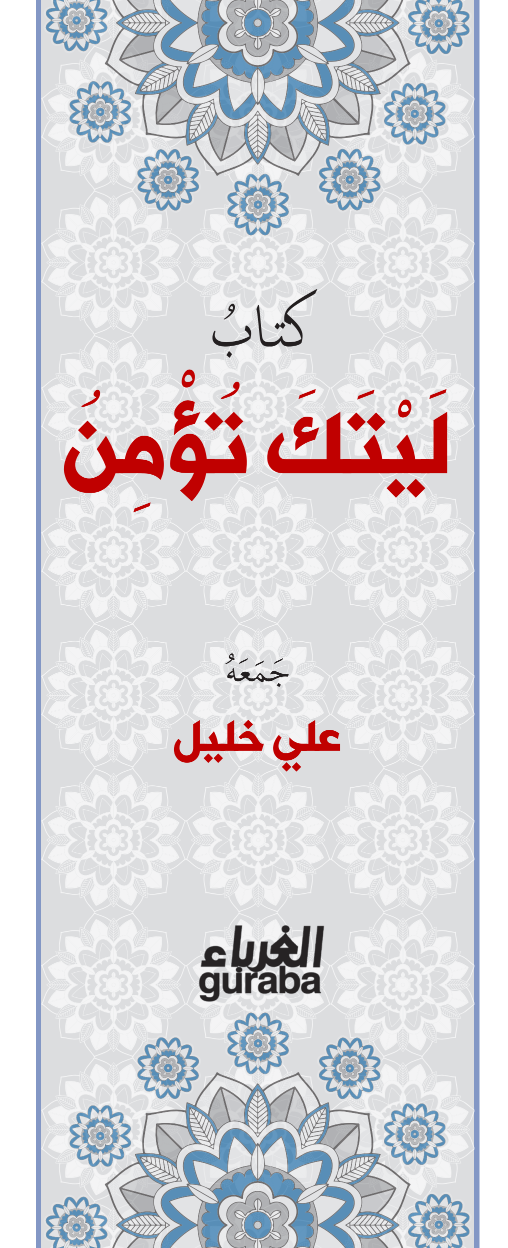
GURABA YAYINCILIK TİC. LTD. ŞTİ.

الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

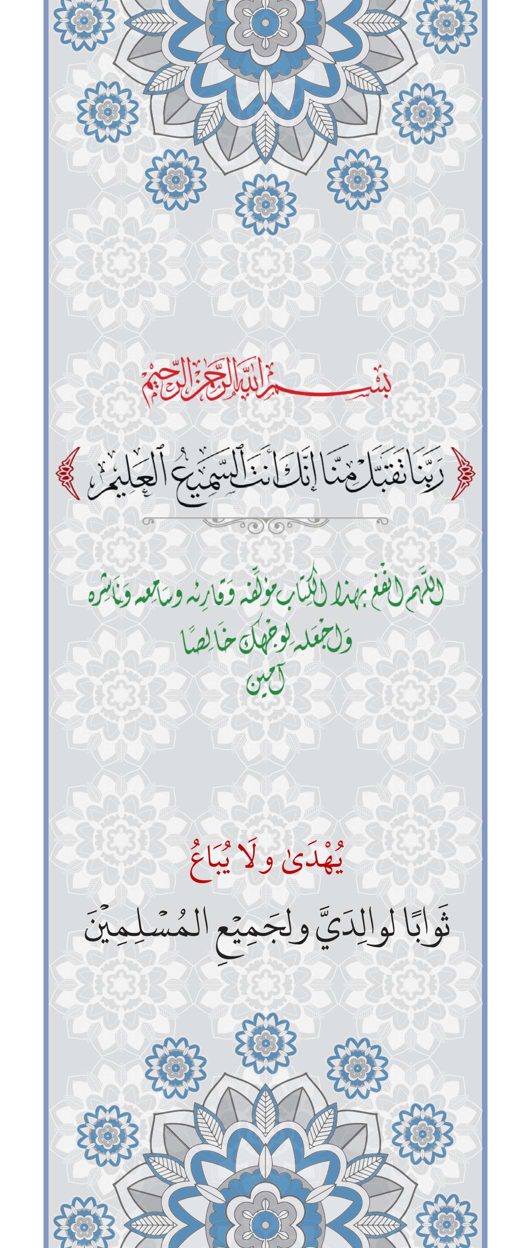
Sabahattin Zaim Cad. Life Park Evleri No: 8/G
1. Etap Başakşehir / Istanbul

gurabayayinlari | (0090) 212 526 06 05
guraba yayinlari | (0090) 507 286 14 14
www.guraba.com.tr | guraba@hotmail.com





كتابُ
لَيْتَكَ تُؤْمِنُ
جَمَعَهُ
علي خليل
الغرباء
guraba



بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
اللهم انفع بهذا الكتاب مؤلفه وقارئه وسامعه وناشره
واجعله لوجهك خالصا
آمين
يُهْدَىٰ ولَا يُبَاعُ
ثوابًا لوالِدَيَّ ولجَمِيعِ المُسْلِمِينَ



مُقَدِّمَةٌ



الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ خَاتَمِ المُرسَلينَ، وقُدوةِ الصَّالحينَ، وعَلىٰ آلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ، وصَحبِهِ الغُرِّ المَيامِينِ، ومَنْ والَاهُ إِلىٰ يومِ الدِّينِ، وبعدُ:

فقدِ اقْتَدَى السَّلَفُ الصَّالِحُ رحمهم الله بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وتَخَلَّقُوا بأَخْلاقِهِ، وامْتَثَلوا أَوَامِرَهُ، وانْتَهَوا عَمَّا نَهَىٰ عَنْهُ.. وكَانُوا كَمَا قالَ اللهُ عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وكَانَ الصَّحابةُ الكِرَام رضي الله عنهم يَتعلَّمونَ تعاليمَ الدِّينِ تَدرجًا، وكَانَ هَمُّهم تطبيقَ ما تعلَّموه أَوَّلًا بأَوَّل، ثمَّ ينتقِلونَ إِلىٰ أَمْرٍ آخرَ، وكان النَّبيُّ ﷺ معهُمْ يُلاحِظُهم ويَهْديهم بالرِّفقِ واللِّينِ، ويأْمُرُهم بعدَمِ الغُلو؛ فكانوا أئمةَ هُداةً للعالمين.

يَقولُ الصَّحَابِيُّ الجَليلُ؛ جُنْدبُ بنُ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه:

(كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ ونَحْنُ فِتْيانٌ حَزاوِرَةٌ[1]؛ فَتَعلَّمْنا الإيْمانَ قَبْلَ أَنْ نَتعلَّمَ القُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنا القُرْآنَ؛ فازْدَدْنَا بِهِ إِيْمانًا)[2].

أَي: أَنَّهم تعلَّموا أَسَاسِيَاتِ العَقيدَةِ الصَّحيحَةِ، وهيَ أَركانُ الإِيمانِ: الإِيمانُ باللهِ، وملائكتِه، وكُتبِه، ورُسلِه، واليومِ الآخِرِ، والإِيمانِ بالقَدَرِ خَيرِه وشرِّه، وتَعلَّموه وهم صِغارٌ.. ثمَّ تعلَّموا القُرآنَ وقَرَؤوه وتدارَسُوه وتدبروه فيما بينهم؛ فازدادَ إِيمانُهم، وقوِيَت عقيدتُهم، وهذا معنىٰ قولِه تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

واليَومَ نَرَىٰ أَنَّ المُسلمينَ يعملونَ خِلافَ ما كانَ عليهِ الصَّحابَةُ؛ فيَبْدَؤونَ بِتَعْليمِ القُرآنِ قَبلَ ترسيخِ أَحكامِ الإِيمانِ ومُقْتَضياتِهِ.

---

(١) (حَزَاوِرَة): جمْعُ حَزْوَرٍ، والحَزْوَرُ: الغُلامُ إِذا اشْتَدَّ وقويَ وقارَبَ البُلوغ.

(٢) رواه ابن ماجة: (٥٢).

يقولُ الصَّحَابِيُّ الجَليلُ؛ عبدُ اللهِ بنُ عُمرَ رضي الله عنه مُوَضِّحًا هَذِهِ المَعاني:

(لقد عِشْنا بُرهةً مِن دَهْرِنا، وإنَّ أَحدَنا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ القُرآنِ، وتنزِلُ السُّورةُ علىٰ مُحمَّدٍ ﷺ فيتَعلَّمُ حَلالَها وحَرامَها، وما ينْبَغي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيها. كَما تَعلَّمونَ أَنْتُمُ القُرآنَ. ثمَّ قالَ:

لقَدْ رَأَيتُ رِجالًا يُؤْتَىٰ أَحَدُهُمُ القُرآنَ؛ فَيَقْرَأُ ما بَينَ فاتِحَتِهِ إِلىٰ خاتِمَتِهِ ما يَدْري ما أَمْرُهُ وَلا زاجِرُهُ، وَلا ما ينْبَغي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُه نَثْرَ الدَّقَلِ[1])[2].

وفي رِوايةٍ: **(وإِنَّكُمُ اليَوْمَ تَعلَّمُونَ القُرآنَ قبلَ الإِيمانِ)**.

فترتيبُ الأَولويَّاتِ وتحدِيدُها عندَ تربيةِ النَّشْءِ ضروريٌّ؛ فيأَخذَ الجانبُ الإِيمانِيُّ الحَيِّزَ الأَوَّلَ من حياتِهِمُ العمليَّةِ..

(١) الدَّقَلُ من التَّمر: هو أَردئ أَنواعه. واحدته دَقَلة، ويقال: قد أَدْقَلَ النَّخلُ.

(٢) رواه ابن ماجة: (٥٢).

فهَذِهِ رِسَالَةٌ - صَغِيرَةٌ في حجمها مُفِيدَةٌ في بابها - جَمَعْتُ فيهَا أَقْوالًا، وحِكَمًا، وأَحْداثًا؛ مُخْتَصَرةً مِنْ أُمَّهاتِ الكُتُبِ، والمَراجِعِ القَيِّمَةِ.. رجاءَ الانتفاعِ، والعملِ بها لِيَومٍ لَايَنْفَعُ فيهِ مالٌ ولَابَنون؛ إِلّا مَنْ أَتى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

وسَمَّيْتُهَا: «**لَيتَكَ تُؤمِنُ**»[1].

أَسْأَلُ اللهَ العَلِيَّ القَدِيرَ، أَنْ يَجْعَلَ عَمِلي خَالِصًا لِوجْهِهِ الكَريمِ، وأَنْ يَدَّخِرَهُ في ميزانِ أَعْمَالي لِيَومِ الدِّينِ، وَيَنْفَعَ بِهِ عُمومَ المُسْلِمِيْنَ والمُسْلِمَاتِ .. اللَّهُمَّ آمين!

علي خليل

٢ / ٢ / ٢٠٢١ م

٢٠ / ٦ / ١٤٤٢هـ

(١) قالَ حَبْرُ الأُمَّةِ؛ عبدُ اللهِ بن عبَّاس رضي الله عنهما: (العِلمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحاطَ بِهِ؛ فَخُذوا مِنْهُ أَحْسَنَهُ) «جامع بيان العلم وفضله»: ج١، ص٢٠٩.

١



لَا يَحْصُلُ الإِخْلاصُ إِلَّا بَعْدَ الزُّهْدِ



قالَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابن تيميةَ ﵀ عَنِ الإِخْلاصِ:

(وَطَرِيقُ التَّخلُّصِ مِنْ هَذِهِ الآفَاتِ كُلِّها: الإِخْلاصُ للهِ ﷻ

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ولَا يَحْصُلُ الإِخْلَاصُ إِلَّا بَعْدَ الزُّهْدِ، وَلا زُهْدَ إِلَّا بِتَقْوىٰ، والتَّقْوَىٰ مُتابَعَةُ الأَمْرِ والنَّهْيِ)[١].



(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج١، ص٩٤. للإِمامِ تقي الدِّين أَبي العبَّاس أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام الحراني ﵀ (ت ٧٢٨ هـ).

٢



نَزَلَ القُرآنُ ليُعْمَلَ بِهِ



قالَ الإِمَامُ التَّابعيُّ؛ الحَسَنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(نَزَلَ القُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ؛ فَاتَّخَذَ النَّاسُ تَلاوَتَهُ عَمَلًا)[(١)].

قالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ:

(وَلِهَذا كَانَ أَهْلُ القُرْآنِ هُمُ العَامِلونَ بِهِ، والْعَامِلُونَ بِمَا فيهِ، وإنْ لَمْ يَحْفَظوهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وأَمَّا مَنْ حَفِظَهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ ولَمْ يَعْمَلْ بِما فِيهِ؛ فَلَيسَ مِنْ أَهْلِهِ، وإنْ أَقامَ حُروفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ)[(٢)].

---

(١) «تأْويل مُشكل القرآن»: ص١٨١. للعلاَّمة الكبير أَبي محمَّد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ اللهُ (ت ٢٧٦ هـ).

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد»: ج١، ص٣٢٣. للإِمام الفقيه أَبي عبد الله شمس الدِّين محمَّد بن أَبي بكرٍ بن أَيُّوبَ الدِّمشقيِّ الحنبليِّ، المعروف باسم ابن قيم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ: (٧٥١ هـ).

٣



لِيكن همُّه في إِحكامه



قَالَ العابدُ الرَّبَّانيُّ؛ وُهَيبُ بنِ الوَرْدِ رحمه الله:

(اتَّقِ اللهَ! أَنْ لا تَسُبَّ إبْليسَ في العَلانيَةِ، وأَنْتَ صَديقُهُ في السِّرِّ).

ويَقولُ رحمه الله: (لا يَكُونُ هَمُّ أَحَدِهِم في كَثْرَةِ العَمَلِ، ولَكِنْ لِيكُنْ هَمُّهُ في إِحْكامِهِ وتَحْسينِهِ..

فإِنَّ العَبْدَ قَدْ يُصَلِّي وَهُوَ يَعْصِي اللهَ فِي صَلاتِهِ، وَقَدْ يَصومُ وهوَ يَعْصِي اللهَ فِي صِيامِهِ)[١].



(١) «حلية الأُولياء وطبقات الأَصفياء»: ج٨، ص١١٦. للحافظ أَبي نعيم أَحمد بن عبد الله الأَصفهاني (ت ٤٣٠ هـ).

٤




مَحَبَّةُ أَهْلِ العِلْمِ

قَالَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ؛ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه:

(اطْلُبُوا الْعِلْمَ.. فَإِنْ عَجَزْتُمْ؛ فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ.. فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ؛ فَلا تُبْغِضُوهُمْ).

وقالَ رضي الله عنه: (لا يَكُونُ عَالِمًا؛ حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَعَلِّمًا، وَلا يَكُونُ عَالِمًا؛ حَتَّىٰ يَكُونَ بِالْعِلْمِ عَامِلًا).

وعَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلابَةَ: أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ، كَانَ يَقُولُ:

(إِنَّكَ لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ؛ حَتَّىٰ تَرَىٰ لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا)[١].



(١) «كتاب الطبقات الكبير»: ص٣٠٨. لمحمد بن سعد بن منيع البصري الزُّهري، المشهور بابن سعد رحمه الله: (ت ٢٣٠ هـ).

٥



خَلِّني وربِّي أَبُعِثْتَ عَليَّ رَقيبًا



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

(كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَواخِيَيْنِ، فكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، والآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي العِبَادَةِ، فكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ. فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: واللهِ! لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ - أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ - فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.[1] أي: حبطت عمله في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) «سنن أبي داود»: (٤٩٠١).

٦



﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾



قالَ ابْنُ هِشَامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حدَّثَني بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّ عَمْرَو بِنْ لُحَيٍّ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ؛ فَلَمَّا قَدِمَ مُآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ - وَبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِيقُ، وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاقٍ، وَيُقَالُ: عَمْلِيقُ بْنُ لَاوَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ - رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الأَصْنَامُ الَّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟

قَالُوا لَهُ: هَذِهِ الأَصْنَامُ نَعْبُدُهَا فَنَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، وَنَسْتَنْصِرُهَا فَتَنْصُرُنَا.

فَقَالَ لَهُمْ: أَفَلَا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا فَأَسِيرُ بِهِ إِلَىٰ أَرْضِ العَرَبِ فَيَعْبُدُونَهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا، يُقَالُ لَهُ: هُبَلُ.

فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ فَنَصَبَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاتَّخَذُوا إِسَافًا وَنَائِلَةَ عَلَىٰ مَوْضِعِ زَمْزَمٍ يَنْحَرُونَ عِنْدَهُمَا، وَكَانَ إِسَافٌ وَنَائِلَةُ رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمٍ؛ هُوَ إِسَافُ بْنُ بَغِيٍّ، وَنَائِلَةُ بِنْتُ دِيكٍ، فَوَقَعَ إِسَافُ عَلَىٰ نَائِلَةَ فِي الكَعْبَةِ؛ فَمَسَخَهُمَا اللهُ حَجَرَيْنِ.

قالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللهُ: وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَا كَانَتْ عِبَادَةُ الحِجَارَةِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَنَّهُ كَانَ لَا يَظْعَنُ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ مِنهُمْ، حِينَ ضَاقَتْ علَيهِمْ، والتَمَسُوا الفُسَحَ في البِلَادِ؛ إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ؛ فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ، فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ، حَتَّىٰ سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَىٰ أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنْ الْحِجَارَةِ وَأَعْجَبَهُمْ.

حَتَّىٰ خَلَفَ الْخُلُوفُ، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَبْدَلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ غَيْرَهُ، فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ، وَصَارُوا إِلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الأُمَمُ قَبْلَهُمْ مِنْ الضَّلَالَاتِ، وَفِيهِمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا: مِنْ تَعْظِيمِ البَيْتِ،

وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالحَجِّ وَالعُمْرَةِ وَالوُقُوفِ عَلَىٰ عَرَفَاتٍ وَالمُزْدَلِفَةِ وَهَدْيِ البُدْنِ وَالإِهْلَالِ بِالحَجِّ وَالعُمْرَةِ مَعَ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

فَكَانَتْ كِنَانَةُ وَقُرَيْشٌ إِذَا أَهَلُّوا قَالُوا:

«لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ».

فَيُوَحِّدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُونَ مَعَهُ أَصْنَامَهُمْ، وَيَجْعَلُونَ مِلْكَهَا بِيَدِهِ. يَقُولُ اللهُ ﷻ لِمُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

أَيْ مَا يُوَحِّدُونَنِي لِمَعْرِفَةِ حَقِّي؛ إِلَّا جَعَلُوا مَعِي شَرِيكًا مِنْ خَلْقِي)[١].



---

(١) «السيرة النبويَّة»: ج١، ص٧٠. لأَبي محمد عبد الملك بن هشام بن أَيوب الحميري البصري رحمه الله (ت ٢١٨ هـ).

٧



إِنَّهُم إِخْوَةٌ بَعْضُهُم مِنْ بَعْضٍ



رُوِيَ أَنَّ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَرَّ[١] أَرْبَعَمائةِ دِينارَ..

وقالَ لِلْغُلامِ: اذْهَبْ بِها إِلَىٰ أَبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، ثُمَّ تَرَبَّصْ عِنْدَهُ فِي البَيْتِ سَاعَةً؛ حَتَّىٰ تَنْظُرَ ما يَصْنَعُ بِها.

فَذَهَبَ بِها الغُلامُ إِلَيْهِ، وَقالَ لَهُ: يَقُولُ أَميرُ المُؤْمِنينَ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ؛ اجْعَلْ هَذِهِ فِي بَعْضِ حَوائِجِكَ.

قالَ: وصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ.

ثُمَّ دَعا بِجارِيَتِهِ، وَقالَ لَهَا: اذْهَبي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلىٰ فُلانٍ، وَبِهَذِهِ الخَمْسَةِ إِلَىٰ فُلانٍ؛ حَتَّىٰ أَنْفَذَهَا.

فَرَجَعَ الغُلَامُ إِلَىٰ عُمَرَ وَأَخْبَرَهُ.

فَوَجَدَهُ قَدْ عَدَّ مِثْلَهَا لِمُعاذِ بنِ جَبَلٍ.

---

(١) أي: كيس يوضع فيه النقود.



فَقالَ لَهُ: انْطَلِقْ بِها إِلَىٰ مُعَاذِ بنِ جبلٍ، وانْظُرْ ما يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ. فَمَضَىٰ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: كَمَا قَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ الجَرَّاحِ.

فَفَعَلَ مُعاذٌ، كَمَا فَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ.

فَرَجَعَ الغُلَامُ فَأَخْبَرَهُ عُمَرُ.

فَقالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ)[(١)].



(١) «المستطرف في كل فنٍّ مستظرف»: ص١٠١ . هو الإمام شهاب الدِّين أَبو الفتح محمَّد بن أَحمد بن منصور الأَبشيهي المحلي رحمه الله (ت ٨٥٢ هـ).

٨



فعلمَ أَنَّه قدِ اسْتُصغِرَ



(عِنْدَمَا وُلِّيَ يَحْيَىٰ بنُ أَكْثَمَ قَضاءَ البَصْرَةِ، وَسِنُّهُ عِشْرُونَ أَوْ نَحْوُهَا: فاسْتَصْغَرَهُ أَهْلُ البَصْرَةِ! فَقالَ لَهُ أَحَدُهُمْ:

كَمْ سِنُّ القَاضِي؟! **فَعَلِمَ أَنَّهُ قَدِ اسْتُصْغِرَ**، فَقالَ لَهُ:

أَنا أَكْبَرُ مِنْ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ، الَّذي وجَّهَ النَّبيُّ ﷺ قَاضِيًا عَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ.

وأَنا أَكْبَرُ مِنْ مُعاذِ بنِ جَبلٍ؛ الَّذي وَجَّهَ النَّبيُّ ﷺ قاضِيًا علىٰ أَهْلِ اليَمَنِ.

وَأَنا أَكْبَرُ مِنْ كَعْبِ بن سورٍ؛ الَّذي وَجَّهَ بِهِ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَاضِيًا عَلَىٰ أَهْلِ البَصْرَةِ)[(١)].

---

(١) «تاريخ مدينة السَّلام وأَخبار محدِّثيها وذكر قطانها العلماء من غير أَهلها وواردِيها»: ج١٦، ص٢٩١. للإمام الحافظ أَبي بكر أَحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٤٦٣ هـ).

٩



مثلٌ لعلماء السُّوء



قَالَ العابدُ الرَّبَّانيُّ؛ وُهَيْبُ بنِ الوَرْدِ رَحِمَهُ اللهُ:

(ضُرِبَ مَثَلٌ لِعُلَماءِ السُّوءِ، فَقِيلَ:

إِنَّمَا مَثَلُ عَالِمِ السُّوءِ؛ كَمَثَلِ الحَجَرِ فِي السَّاقِيَةِ..

فَلا هُوَ يَشْرَبُ المَاءَ..

وَلَا يُخَلِّي المَاءَ إِلَى الشَّجَرَةِ.. فَتَحْيَا بِهِ)[١].



(١) «حلية الأُولياء وطبقات الأَصفياء»: ج٨، ص١١٠. للحافظ أَبي نعيم أَحمد بن عبد الله الأَصفهاني (ت ٤٣٠ هـ).

١٠



خَمْسَةُ دَرَاهِمَ عَلَى قَدَحٍ واحِدٍ مِنْ ماءٍ



(عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَنِيْفَةَ يَقُولُ:

احْتَجْتُ إِلَىٰ ماءٍ بِالبَادِيَةِ؛ فَجَاءَنِي أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ قِربَةٌ مِنْ مَاءٍ، فَأَبَىٰ أَنْ يَبِيعَهَا إِلَّا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ؛ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ، وقَبَضْتُ القِرْبَةَ، ثُمَّ قُلْتُ:

يا أَعْرَابِيُّ! مَا رَأْيُكَ فِي السَّوِيْقِ - حَلْوىٰ -؟

فَقَالَ: هَاتِ. فَأَعْطَيْتُهُ سَوِيْقًا مُلْتَوِيًا بِالزَّيتِ؛ فَجَعَلَ يَأْكُلُ حَتَّىٰ امْتَلأَ، ثُمَّ عَطِشَ. فَقَالَ: شُرْبَةٌ؟

قُلْتُ: بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ، فَلَمْ أَنْقُصْهُ مِنْ خَمْسَةِ دَراهِمَ عَلَىٰ قَدَحٍ مِنْ ماءٍ؛ فَاسْتَرْدَدْتُ الخَمْسَةَ، وَبَقِيَ مَعِيَ المَاءُ)[١].

(١) «الأذكياء»: ص٦٣. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي، المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

١١



رَجَعَتِ الحِيلَةُ عَلَيْهِ



(وقَدْ روي؛ أَنَّ بِلَالَ بْنَ أَبِي بُرِدَةَ بنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ:

كَانَ فِي حَبْسِ الحَجَّاجِ، وَكَان يُعَذِّبُهُ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ ماتَ مِنَ الحَبْسِ رَفَعَ خَبَرَهُ إِلَىٰ الحَجَّاجِ؛ فَيَأْمُرُ بِإِخْرَاجِهِ وَتَسْلِيمِهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ.

فَقالَ بِلَالٌ لِلسَّجَّانَ: خُذْ مِنِّي عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ، وَأَخْرِجِ اسْمِي إِلَى الحَجَّاجِ فِي المَوْتَىٰ؛ فَإِذَا أَمَرَكَ بِتَسْلِيمِي إِلىٰ أَهْلِي هَرَبْتُ فِي الأَرْضِ، فَلَمْ يَعْرِفِ الحِجَّاجُ خَبَرِي، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَهْرُبَ مَعِي فَافْعَلْ، وَعلَيَّ غِناكَ أَبَدًا.

فَأَخَذَ السَّجَّانُ الْمَالَ، وَرَفَعَ اسْمَهُ فِي المَوْتَىٰ.

فَقَالَ الحَجَّاجُ: مِثْلُ هَذَا! لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَىٰ أَهْلِهِ حَتَّىٰ أَرَاهُ؛ هَاتِه.

فَعَادَ إِلَىٰ بِلَالٍ. فَقَالَ: أَعْهِدْ. قَالَ: وَما الخَبَرُ.

قالَ: أَنَّ الحَجَّاجَ، قَالَ كَيْتَ وَكَيْتَ؛ فإِنْ لَمْ أُحْضِرْكَ إِلَيْهِ مَيْتًا قَتَلَنِي، وَعَلِمَ أَنِّي أَرَدْتُ الحِيلَةَ عَلَيهِ، وَلَا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَكَ خَنْقًا.

فَبَكَىٰ بِلَالٌ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ. فَلَمْ يَكُنْ إِلىٰ ذَلِكَ طَرِيقٌ. فَأَوْصَىٰ وَصَلَّىٰ.

فَأَخَذَهُ السَّجَّانُ، وَخَنَقَهُ، وَأَخْرَجَهُ إِلَىٰ الحَجَّاجِ؛ فَلَمَّا رَآه مَيتًا، وَقالَ: سَلِّمْهُ إِلَىٰ أَهْلِهِ.

فَأَخَذُوهُ وَقَدِ اشْتَرَىٰ القَتْلَ لِنَفْسِهِ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، وَرَجَعَتِ الحِيلَةُ عَلَيْهِ)[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الأَذكياء»: ص١٥١. لأَبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي، المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

١٢



لِئَلَّا يُفْسِدَ عَلَيْكَ دِينَك



الصَّحَابيُّ الجَليلُ؛ قَبَّاثُ بنُ أَشْيَمَ بنُ عامرٍ اللَّيْثِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(كانَ إمامَ مَسْجِدِ مصرَ، وكانَ يَقْرَئُ القُرآنَ في الجَامِعِ... وأَنَّ الرُّومَ أَسَرَتْهُ في خِلافَةِ عبدِ المَلكِ بنِ مَروان... وجَرَتْ لِلرُّومِ مَعَهُ قِصَّةٌ. فِيهَا أَنَّ مَلِكَ الرُّومِ أَمَرَهُ لِمُنَاظَرَةِ البَطْرِيكِ.

فقَالَ لِلبَطْرِكِ: كَيفَ أَنْتَ، وكَيْفَ ولَدُكَ؟

فقَالَ البَطَارِقَةُ: مَا أَجْهَلَكَ تَزْعُمُ أَنَّ لِلبَطْرِيكِ ولَدًا، وقَدْ نَزَّهَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ.

قالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: أَتُنزِّهُونَ البَطْرِكَ عَنِ الوَلَدِ، ولَا تُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَهُوَ خَالِقُ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ عَنِ الوَلَدِ؟

قَالَ: فَنَخَرَ البَطْرِكُ نَخْرَةً عَظِيمَةً. وقالَ: أَخْرِجْ هَذَا هَذِهِ السَّاعَةَ عَنْ بَلَدِكَ لِئَلَّا يُفْسِدَ عَلَيْكَ دِيْنَكَ؛ فَأَطْلَقَهُ)[1].

---

(١) «تهذيب التهذيب»: ج٣، ص٤٢٤. للحافظ أَبي الفضل أَحمد بن علي بن حجر شهاب الدِّين العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ).

١٣



وَقَعَتِ الهَيْبَةُ لِلْمَلِكِ



(رُوِيَ أَنَّ المَلِكَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ؛ بَعَثَ القَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ البَاقِلَّانِيِّ فِي رِسَالَةٍ إِلَىٰ مَلِكِ الرُّومِ.

فَلمَّا وَرَدَ مَدِينَتَهُ أُخْبِرَ المَلِكُ بِتَبَحُّرِهِ فِي العِلْمِ؛ فَعَلِمَ المَلِكُ أَنَّهُ لا يَخْدُمُهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَلَا يَنْحَنِي لَهُ، فَأَمَرَ المَلِكُ أَنْ يُوضَعَ سَرِيْرُهُ فِي مَوْضِعٍ، وَجَعَلَ لِلْمَوْضُوعِ فِي مُقَابله بَابًا لَطِيفًا صَغِيرًا يَحْتَاجُ الدَّاخِلُ فِيهِ إِلَىٰ الانْحِنَاءِ.

فَلَمَّا وَصَلَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ البَابِ فَكَّرَ، فَعَرَفَ القِصَّةَ، فَأَدَارَ وَجْهَهُ عَنِ البَابِ، ودَخَلَهُ مَعْكُوسًا، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ فِي نَاحِيَةِ المَلِكِ؛ **فَوَقَعَتِ الهَيْبَةُ لِلْمَلِكِ**)[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) «الأنساب»: ص٢٦٦. للامام أَبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت ٥٦٢ هـ).

١٤



أَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ



(قِيلَ لِلعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﵁:

أَيُّمَا أَكْبَرُ، أَنْتَ أَمِ النَّبِيُّ ﷺ؟

فَقَالَ: **هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي، وَأَنا وُلِدْتُ قَبْلَهُ**)[(١)].



(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج٩، ص٢٧٣: رواه الطبراني (٢٩٧٠) والحاكم (٣/ ٣٦٢) ورجاله رجال الصَّحيح.



١٥



يَقُولُونَ سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ



عَنْ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاثَةٌ: عِيسَىٰ.

وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّىٰ تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ. وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ؛ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ، وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَىٰ.

فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا؛ فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ.

فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الغُلامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي. قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لا، إِلَّا مِنْ طِينٍ.

وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ.

فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ.

ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ.

فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.

فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٤٣٦) ومسلم: (٢٥٥٠).

* في هذا الحديثِ العظيم.. يقُصُّ النَّبِيُّ ﷺ لنا قِصصًا حدَثتْ في الأُممِ السَّابِقةِ؛ لنأْخُذَ منها العِبرةَ والعِظةَ، وفيه يقولُ ﷺ:

«**لَمْ يتكلَّمْ في المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ**» أَي: لم يَتكلَّمْ في حالِ الصِّغرِ التي لا يَتكلَّمُ فيها الأَطفالُ إلَّا ثلاثةٌ. والمهْدُ: الفِراشُ الذي يُهيَّأُ للرَّضيع.

* وأَوَّلُ هؤلاءِ الثَّلاثةِ هو: «**عيسىٰ**» أَي: نَبيُّ اللهِ عيسىٰ ابنُ مَريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيثُ أَنطَقَهُ اللهُ عِندما اتَّهمَ القومُ أُمَّه مريمَ في وِلادتِه، ونَفى التُّهمةَ عنها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٣].

* والثاني: «**وكانَ في بَني إسْرائيلَ رجُلٌ يُقالُ له: جُرَيجٌ، كانَ يُصلِّي**» أي: كانَ عابدًا يُصلِّي مُعتزِلًا النَّاسَ، «**جاءَتْه أُمُّه فدَعَتْه**» أي: نادَتْه وهوَ يُصلِّي «**فقالَ: أَجيبُها أو أُصلِّي**» أي: إنَّه تردَّدَ وفاضلَ بينَ الأَمْرينِ: هل يَقطَعُ صلاتَه ويُجيبُ نداءَ أُمِّه، أم يُقدِمُ علىٰ الصَّلاةِ تاركًا نداءَ أُمِّه؟ فاختارَ الصَّلاةَ ولم يُجِبْ أُمَّه؛ فغضبتْ أُمُّه وقالتْ: «**اللَّهُمَّ لا تُمِتْه حتىٰ تُرِيَه وجوهَ المومِساتِ**» أي: دَعتْ عليهِ أَن يَرَىٰ قبلَ موتِهِ المومِساتِ، وهُنَّ النِّساءُ البَغايا اللاتي يمارِسْنَ الرَّذِيلةَ والزِّنا ويُعرفْنَ بذلكَ «**وكانَ جُرَيجٌ في صَوْمَعتِه**» والصَّوْمعةُ: بَيتٌ مِثلُ الدَّيْرِ والكَنيسةِ ينقطِعُ فيها رُهبانُ النَّصارىٰ للعِبادةِ «**فتعرَّضتْ لهُ امرأةٌ وكلَّمته فأَبَىٰ**» أي: أَتَتْه امْرأَةٌ وأَرادتْ أَن تُمكِّنَه مِن نفسِها بالزِّنا فامتنعَ جُرَيجٌ «**فأَتَتْ راعيًا فأَمكَنَتْه من نفسِها**» أَي: لمَّا امتنَعَ عنها جُرَيجٌ فزنَىٰ بها راعٍ «**فولدَتْ غُلامًا**» أَي: نتجَ عن هذا الزِّنا غلامٌ وهو كِنايةٌ عن أَنَّه مولودٌ ذَكرٌ «**فقالَتْ: مِن جُرَيجٍ**» أَي: إنَّها لَمَّا سُئِلتْ عن أَبي الولدِ قالتْ: إنَّه ابنُ جُرَيجٍ؛ إشارةً إلىٰ اتِّهامِه بالزِّنا معها «**فأَتوهُ فكَسَروا صَوْمعتَه وأَنزَلوهُ وسبُّوهُ**» أَي: ذَهبَ إليهِ النَّاسُ فهدَموا الصَّوْمعةَ وأَخرَجوهُ منها وجعَلوا يُؤذُونَه بالسَّبِّ والشَّتمِ «**فتوضَّأَ**» جُرَيجٌ «**وصلَّىٰ**» ودَعا اللهَ في صَلاتِهِ «**ثمَّ أَتَىٰ الغُلامَ**» أَي: أَقبلَ علىٰ الولدِ الذي اتُّهِم فيهِ «**فقالَ: مَن أَبوكَ يا غلامُ؟ فقال: الرَّاعي**» أَي: لَمَّا سَأَلَ جُرَيجٌ الطِّفلَ عن أَبيهِ أَنطقَه اللهُ تعالىٰ بأَنَّ الرَّاعي هو أَبوه؛ فظهرَ للنَّاسِ كَرامةٌ لجُرَيجٍ وبراءَتُه، فلمَّا علِموا بَراءتَه قالوا: «**نَبْني صَوْمعتكَ مِن ذَهبٍ؟**» أَي: قالَ النَّاسُ ذلكَ لَمَّا رَأَوْا منهُ مِن كَرامةٍ، فأَرادوا أَن يُعيدوا بناءَ صَوْمعتِه مِن ذَهبٍ، فقالَ جُرَيجٌ: «**لا، إلَّا مِن طِينٍ**» أَي: أَعيدوا بناءَها مِن الطِّينِ، وهذا مِن تواضُعِه بَعدَما ظَهرتْ كرامتُه، وفي هذِه القِصَّةِ أَنَّ اللهَ يحفَظُ عِبادَه المتَّقينَ، ويَبْتلِيهم لِيُطَهِّرَهم من ذُنوبِهم.

* والثَّالث: «**وكانتِ امْرأةٌ تُرضِعُ ابنًا لها مِن بَني إسْرائيلَ؛ فمَرَّ بها رجُلٌ راكب ذُو شَارةٍ**» أَي: رجُلٌ لهُ هَيْبةٌ وهَيْئةٌ حَسنةٌ يُشارُ إليه بها، فقالَتِ الأُمُّ فيما ظَهرَ لها مِن عَظيمِ شَأْنِ هذا الرجُل: «**اللهمَّ اجْعلِ ابْني مِثلَه**» أَي: دَعتِ اللهَ أَنْ يجعلَ ولدَها مِثلَ هذا الرَّجلِ في عُلوِّ الشَّأْنِ والمَكانةِ «**فتَركَ ثَدْيَها وأقبلَ علىٰ الرَّاكبِ**» أَي: فتَركَ الطِّفلُ الرَّضاعةَ مِن ثَدْيِ أُمِّهِ وتوجَّهَ بنَظرِه إلىٰ الرَّاكبِ، فقالَ: «**اللَّهمَّ لا تَجعلْني مِثلَه**» أَي: اللَّهُمَّ لا تَجعلْني مِثلَه فيما يُبطِنُ من التَّجبُّرِ والتكبُّرِ، وهذهِ كرامةٌ للغُلامِ؛ حيثُ نطقَ في المهْدِ «**ثمَّ أَقبلَ علىٰ ثَدْيِها يَمَصُّه**» أَي: عادَ مرَّةً أُخرىٰ للرَّضاعةِ.

قال أَبو هُرَيرَة رضي الله عنه: «**كأَنِّي أَنظرُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يَمَصُّ إصْبَعه**» أَي: كأَنَّ النَّبيَّ ﷺ يُشبِّه ويصفُ حالةَ رَضاعِ الطِّفلِ فمصَّ أُصْبعَه توضيحًا.

ثمَّ أَكمَلَ النبيُّ حِكايَةَ الطِّفلِ معَ أُمِّه وهوَ يَرضَعُ فقالَ: «**ثمَّ مرَّ بأَمَةٍ**» أَي: بامْرأَةٍ مملوكةٍ، فقالتِ الأمُّ: «**اللهُمَّ لا تَجعلِ ابْني مِثلَ هذِه**» أَي: إنَّ الأُمَّ دعتِ اللهَ بما ظهرَ لها مِن إذْلالِ المَمْلوكةِ وإهانتِها فدَعتِ اللهَ أَلَّا يَجعَلَ ابْنها مِثلَ تلكَ المرأَةِ «**فتركَ ثَدْيها، فقالَ: اللهمَّ اجْعلني مِثلَها، فقالتْ: لم ذاكَ؟**» أَي: سأَلتِ ابْنها لِمَا ظهرَ لها أَنَّ كلامَه في مَهدِه لم يكن عَبثًا: لِمَ دعوتَ اللهَ بعَكسِ ما ظهرَ لي وبعَكسِ ما دعوتُ لكَ؟ وأَنْ تكونَ مِثلَ الأَمةِ ولا تكونَ مِثلَ الراكبِ؟ «**فقالَ الغُلامُ**» مُخاطِبًا أُمَّه وموضِّحًا لها: «**الرَّاكبُ جبَّارٌ مِن الجبابرةِ**» أَي: هو جبَّارٌ ظالمٌ مُتكَبِّرٌ فلا أُحِبُّ أَن أَكونَ مِثلَه، «**وهذِه الأَمَةُ يَقولونَ: سَرقتِ، زَنَيتِ، ولم تفعلْ**» أَي: إنَّها مَظلومةٌ ولم تَسرقْ ولم تَزنِ واللهُ معَ المظلومِ وناصرُهُ، وهيَ تلتجِئُ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ أَن يُجيرَها وأَن يُثيبَها، فأَحببْتُ أَن أَكونَ مِثلَها. وفي الحديثِ:

* **فضلُ الأُمِّ والحذَرُ مِن إغضابِها.**
* **أَنْ يُحسِنَ العبدُ ظَنَّه بربِّه في شدائدِه.**
* **أَنَّ مَن أَهمَّهُ أَمرٌ فليَفْزعْ إلى اللهِ تعالىٰ، وليُقبلْ عليهِ بالصَّلاةِ والدُّعاءِ.**
* **إثباتُ كراماتِ الأَولياءِ.**

١٦



لا تُتْعِبْ فرسَك



عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[1].

قالَ الإمامُ الحَافِظُ؛ عُبَيدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ القَواريريُّ الزَّجَّاجُ، نَزِيلُ بَغدادَ رحمه الله:

(لَمْ تَكُنْ تَفوتُني صَلَاةُ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ قَطُّ..

فنَزَلَ بِي لَيْلَةً ضَيفٌ؛ فَشُغِلْتُ بِسَبَبِهِ، وَفاتَتْني صَلَاةُ الْعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ.

فَخَرَجْتُ أَطْلُبُ الصَّلَاةَ فِي مَسَاجِدِ البَصْرَةِ؛ فَوَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَدْ صَلُّوا، وأُغْلِقَتِ المَسَاجِد، فَرَجَعتُ إِلَىٰ بَيْتِي.

(١) رواه البخاري: (٦١٩) ومسلم: (٦٥٠).



وَقُلتُ: قَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ إِنَّ صَلَاةَ الجَمَاعَةِ تَزِيدُ عَلىٰ صَلَاةِ الفَردِ بِسَبْعٍ وَعشْرينَ دَرَجَةً؛ فَصَلَّيتُ العِشَاءَ سَبْعًا وَعِشْرينَ مَرَّةً.

ثُمَّ نِمتُ؛ فَرَأَيْتُ فِي المَنَام كَأَنِّي مَعَ قَوم عَلىٰ خَيلٍ وَأَنا - أَيضًا - عَلىٰ فَرَسٍ، وَنحنُ نَسْتَبِقُ، وَأَنا أَرْكُضُ فَرَسي فَلَا أَلْحَقُهُمْ، فَالْتَفَتَ إِلَي أَحَدُهُم.

فَقَالَ لي: لَا تُتْعِبْ فَرَسَكَ فَلَسْتَ تَلْحَقُنا. قُلتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: لأَنَّا صَلَّينَا العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، وَأَنْتَ صَلَّيتَ وَحدَكَ.

فانْتَبَهتُ، وَأَنا مَغْمومٌ حَزِينٌ لِذَلِكَ)[1].



(١) «كتاب الكبائر» ص٣٠. للإمام الحافظ محمد بن أَحمد بن عثمان الذَّهبي التركماني (ت ٧٤٨ هـ).

١٧



فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بِمَنْ تَقْتَدِي



(لَمَّا أَرَادَ نُوحُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَبُو عِصْمَةَ المَرْوَزِيُّ، قَاضِي مَرْوَ؛ أَنْ يُزوِّجَ ابْنَتَهُ، اسْتَشَارَ جارًا لَهُ مَجُوسِيًا.

فَقالَ: سُبْحانَ اللهِ! النَّاسُ يَسْتَفْتونَكَ، وأَنْتَ تَسْتَفْتِيني؟

قالَ: لا بُدَّ أَنْ تُشيرَ عَلَيَّ!

قالَ: إنَّ رَئيسَ الفُرسِ كِسْرَىٰ.. كانَ يَخْتَارُ المالَ.

ورَئيسُ الرُّومِ قَيْصَرُ.. كانَ يَخْتارُ الجَمالَ.

ورَئيسُ العَرَبِ.. كانَ يَخْتارُ الحَسَبَ.

وَرئيسُكُمْ مُحَمَّد.. كانَ يَختارُ الدِّينَ؛

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بِمَنْ تَقْتَدِي)[١].

---

(١) «المستطرف في كل فنٍّ مستظرف»: ص٨٤. هو الإمام شهاب الدِّين أَبو الفتح محمَّد بن أَحمد بن منصور الأَبشيهي المحلي رحمه الله (ت ٨٥٢ هـ).

١٨




ائْتِنا بِعَذابٍ أَليمٍ

(قالَ مُعاوِيةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ لِرَجُلٍ مِنَ اليَمَنِ:

ما كانَ أَجْهَلَ قَومَكَ حِينَ مَلَّكُوا عَلَيهِمُ امْرأَةً!

فقالَ: أَجْهلُ من قَومي قومُكَ..

الَّذينَ قَالُوا حينَ دَعَاهُم رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[الأنفال: ٣٢])[١].



(١) «كتاب العقد الفريد»: ج١، ص٣٠. لأَبي عمر أَحمد بن محمد بن عبد ربه الأَندلسي، المشهور بابن عبد ربِّه رَحِمَهُ اللهُ (ت ٣٢٨ هـ).

١٩



اجْعَلْ لَنا إلهًا كَما لَهُم آلِهَة



(قالَ رَجُلٌ مِنَ اليَهودِ؛ لِعَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ رضي الله عنه:

ما دَفَنْتُم نَبِيَّكُمْ حتَّىٰ قالَتِ الأَنْصارُ: مِنَّا أَميرٌ وَمِنْكُم أَميرٌ!

فقالَ لَهُ عَليٌّ رضي الله عنه:

أَنْتُم ما جَفَّتْ أَقْدَامُكُمْ مِنْ ماءِ البَحْرِ حتَّىٰ قُلْتُم:

اجْعَلْ لَنا إِلهًا كَما لَهُم آلِهَة!)[١].



(١) «الأَذكياء»: ص٢١٩. لأَبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي، المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

٢٠



فاشْتَرينا لِسانَه



(عَنْ مُحَمَّدِ بْنُ الفَضْلِ، قالَ: أَخْبَرَني بَعْضُ أَهْلِ الأَدَبِ عَنْ حُسْنِ الوَصيْفِ، قَالَ:

قَعَدَ المَهْدِيُّ قُعُودًا عَامًّا لِلنَّاسِ؛ فَدَخَلَ رَجُلٌ وَفِي يَدِهِ نَعْلٌ فِي مِنْدِيلٍ.

فَقَالَ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ! هَذِهِ نَعْلُ رَسولِ اللهِ ﷺ قَدْ أَهْدَيْتُها لَكَ. فَقالَ: هاتِهَا. فَدَفَعَها إِليهِ.

فَقَبَّلَ باطِنَهَا وَوَضَعَها عَلَىٰ عَيْنَيْهِ، وَأَمَرَ لِلْرَّجُلِ بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ.

فَلَمَّا أَخَذَها وانْصَرَفَ.

قَالَ لِجُلَسائِهِ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَمْ أَعْلَمْ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لَمْ



يَرَها فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكونَ لِبسَها؟ وَلَوْ كَذَّبْناهُ، قالَ لِلنَّاسِ:

أَتَيْتُ أَميرَ المُؤْمنينَ بِنَعْلِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَدَّها عَلَيَّ!

وَكَانَ مَنْ يُصَدِّقُهُ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْفَعُ خَبَرَهُ.

إِذْ كانَ مِنْ شَأْنِ العامَّةِ المَيْلُ إِلىٰ أَشْكَالِها، والنُّصْرَةُ لِلضَّعيفِ عَلىٰ القَوِيِّ.

وَإِنْ كانَ ظالِمًا؛ فاشْتَرَيْنا لِسَانَهُ، وَقَبِلْنا هَدِيَّتَهُ، وَصَدَّقْنا قَوْلَهُ، وَرَأَيْنا الَّذي فَعَلْناهُ أَنْجَحَ وأَرْجَحَ)[١].



(١) «تاريخ بغداد»: ج٣، ص٣٨٧. لِلإمام الحافظ أَبي بكر أَحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله (ت ٤٦٣ هـ).

٢١



أَصعبُ الأُمور



(حَكَىٰ أَحْمَدُ بنُ أَبي الفَيَّاضِ في كِتابِهِ، قَالَ: كَتَبَ الأَميرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحَكَمِ الأُمَويُّ - المَعْرُوفُ بالرَّبَضيِّ صَاحِبُ الأَنْدَلُسِ - إِلىٰ الفُقَهاءِ يَسْتَدْعِيْهِم إِلَيْهِ، فأَتَوا إِلىٰ القَصْرِ.

وكَانَ عَبْدُ الرَّحْمنِ المَذْكورُ؛ قَدْ نَظَرَ فِي شَهْرِ رَمَضانَ إِلىٰ جَارِيَةٍ لَهُ، كانَ يُحِبُّها حُبًّا شَدِيدًا؛ فَعَبَثَ بِها، وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَه أَنْ وَقَعَ عَلَيْها، ثُمَّ نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا!

فَسَأَلَ الفُقَهاءَ عَنِ تَوْبَتِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَكَفَّارَتِهِ؟

فَقَالَ يَحيىٰ بنُ يَحْيىٰ:

يُكَفِّرُ ذَلِكَ بِصَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ.

فَلَمَّا بَدَرَ يَحْيَىٰ لِهَذِهِ الفُتْيا، سَكَتَ بَقِيَّةُ الفُقَهاءِ، حَتَّىٰ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَقَالُوا لِيَحْيَىٰ:

مَا لَكَ لَمْ تُفْتِهِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ!

فَعِنْدَهُ أَنَّهُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ العِتْقِ، والطَّعَامَ، والصِّيامِ؟

فَقَالَ: لَوْ فَتَحْنا لَهُ هَذا البَابَ..

سَهَّلَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَأَ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَعْتِقَ رَقَبَةً..

وَلَكِنْ حَمَلْتُهُ عَلىٰ أَصْعَبِ الأُمُورِ؛ لِئَلَّا يَعُودَ)[1].



(١) «وفيات الأَعيان وأَنباءُ أَبناءِ الزَّمان»: ج ٦، ص١٤٥. لأَبي العبَّاس شمس الدِّين أَحمد بن محمد بن أَبي بكر بن خلكان رحمه الله (ت ٦٨١ هـ).

٢٢



لا تَنْسَ أَنْ تَقولَ: إِنْ شَاءَ اللّهُ



عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَنَّ نَبِيَّ اللهِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً، فَقالَ: لأَطُوفَنَّ[١] اللَّيْلَةَ على نِسائِي فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ، ولْتَلِدْنَ فارِسًا يُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ؛ فَطافَ علَىٰ نِسائِهِ، فَما ولَدَتْ منهنَّ إلَّا امْرَأَةٌ ولَدَتْ شِقَّ غُلامٍ[٢].

قالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كانَ سُلَيْمانُ اسْتَثْنَىٰ؛ لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ منهنَّ، فَوَلَدَتْ فارِسًا يُقاتِلُ في سَبيلِ اللهِ**[٣]»[٤].

---

(١) أَي: لأُجامِعَنَّ نِسائي؛ كُلُّهنَّ يَأْتي بفارِسٍ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ.

(٢) أَي: بِنِصْفِ رَجُلٍ.

(٣) أَي: لو استثنىٰ في كلامِهِ؛ لَرَزَقَهُ اللهُ مِئةَ فارسٍ كُلُّهُم جاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ. فلمْ يقُل عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن شاءَ اللهُ لنسيانِه، ولا يعني هذا أَنَّه لم يُفوِّضِ الأَمرَ للهِ بقلبه؛ فحاشاهُ أَنْ يَغفُلَ قَلبُه عن تَفويضِ الأَمْرِ للهِ وهو نَبِيٌّ، والعِصمةُ ثابِتةٌ لِجَميعِ الأَنبياءِ، فالنِّسيانُ هنا نسيانُ قولِ: إن شاءَ الله بلِسانِه.

(٤) رواه البخاري: (٧٤٦٩) ومسلم: (١٦٥٤).

٢٣



قُلْ إنْ شاءَ اللّه



(سُئِلَ بَعْضُهُم: إلىٰ أَينَ؟ فقالَ: إلى الكُناسَةِ[١] لأَشْتَرِيَ حِمارًا. فقالَ لَهُ رَجلٌ: قُلْ إِنْ شاءَ اللهُ.فقالَ: وما وَجْهُ الاسْتِثْناءِ؟ الدَّراهِمُ في كُمِّي، والحَميرُ فِي الكُناسَةِ! فلَمَّا ذَهَبَ؛ سُرِقَتْ مِنْهُ الدَّراهِمُ.. فعادَ ! فَقيلَ لَهُ: ما الَّذي فَعَلْتَ؟ قالَ: سُرِقَتِ الدَّراهِمُ؛ إنْ شاءَ اللهُ)[٢].

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].



(١) أي: أَماكن بيع الحمير.

(٢) «محاضرات الأُدباء»: ص٢١٢. للإمام أَبي القاسم الحسين الأَصفهاني رحمه الله (ت٥٠٠ هـ).

٢٤



أَخافُ أَنْ تَرْهَنَ كِتابي



(سَأَلَ رَجلٌ رَجُلًا، أَنْ يُعيرَهُ كِتابًا.

فقالَ: علَيَّ يَمينٌ أَنْ لَا أُعيرَ كِتابًا؛ إلَّا بِرَهنٍ.

قالَ: فَهَذا كِتابٌ اسْتَعَرْتُهُ مِنْ فُلانٍ؛ فَأَتْرُكُهُ رَهْنًا عِنْدَكَ.

فقالَ: أَخافُ أَنْ تَرْهَنَ كِتابِي كَما رَهَنْتَ كِتابَ غَيْري)[1].



(١) «تقيد العلم»: ص١٤٩. للحافظ أَبي بكر أَحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله (ت ٤٦٣ هـ).

٢٥



لَهْوُ وَلَعِبُ مُلوكِ الإسْلامِ



قالَ المؤرخُ ابن الأَثير الجزري رَحِمَهُ اللهُ وهُوَ يَنْعِي عَلى الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ، وَيَصِفُ أَحْوالَ مُلوكِهِ قُبَيْلَ وفَاتِهِ بِسَنَتَينِ؛ فَيَقولُ مُعلِّقًا عَلىٰ أَحْداثِ سَنَةِ (٦٢٨هـ) ما نَصُّهُ:

(فاللهُ تَعالىٰ يَنْصُرُ الإِسْلامَ والمُسْلمينَ نَصْرًا مِنْ عِنْدِهِ.. فَمَا نَرىٰ في مُلوكِ الإسلامِ مَنْ لَهُ رَغْبَةٌ في الجِهادِ، وَلَا في نُصْرَةِ الدِّينِ! بَلْ كُلٌّ مِنْهُم مُقْبِلٌ عَلىٰ لَهْوِهِ ولَعِبِهِ، وظُلْمِ رَعيَّتِهِ..

وهَذا أَخْوَفُ عِندي منَ العَدُوِّ..

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥])[١].

(١) «الكامل في التَّاريخ»: ج١٠، ص٤٩١. عز الدِّين أَبي الحسن علي بن محمد الجزري الموصلي، المعروف بابن الأَثير الجزري رحمه الله (ت ٦٣٠ هـ).

٢٦



بَغدادُ دار السَّلام



(بَغْدَادُ حَاضِرَةُ الدُّنيا.. ومَا عَدَاها بادِيَةٌ)[(١)].

في أَيَّامِ الخَليفة هارون الرَّشِيدِ رَحِمَهُ اللهُ..

(لَمْ يَكُنْ لِبَغدادَ في الدُّنيا نَظيرٌ في جَلالَةِ قَدْرِهَا، وَفَخَامَةِ أَمْرِها، وكَثْرَةِ عُلَمائِها وأَعْلامِها، وتَمَيُّزِ خَواصِّها وعَوامِها..

وعِظَمِ وَسَعَةِ أَطْرَافِها، وكَثْرَةِ دُورِها وَمَنازِلِها، ودُرُوبِها وَشَوارِعِهَا وَمَحالِّها، وأَسْواقِها وسِكَكِهَا، وأَزِقَّتِها..

ومَسَاجِدِها، وَحمَّاماتَها وَطُرَرِهَا وخَاناتِهَا، وطِيبِ هَوائِهَا وعُذُوبَةِ مائِها، وبَرْدِ ظِلَالِها وأَفْيائِها، واعْتِدالِ صَيْفِها وشِتائِها، وصِحَّةِ رَبيْعِها وَخَريفِها، وَزِيادَةِ ما حُصِرَ مِنْ عَدَدِ سُكَّانِها..

---

(١) «معجم البلدان»: ج١، ص٤٦١. لأَبو إِسحاق إِبراهيم بن محمد الزَّجاج البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٣١١ هـ).

وَأَكْثَرِ ما كانتْ عِمَارةً وأَهلًا في أَيَّامِ الرَّشيدِ؛ إذِ الدُّنيا قارَّةُ المَضَاجِعِ، دَائِرَةُ المَراضِعِ، خَصِيبةُ المَرَاتِعِ، مُورَدَةُ المَشارِعِ..

ثُمَّ حَدَثَتْ بِها الفِتَنُ.. وتَتَابَعَتْ عَلىٰ أَهْلِها المِحَنُ؛ فَخَرُبَ عِمْرَانُها، وانْتَقَلَ قُطَّانُها..

إلَّا أَنَّها كانَتْ قَبْلَ وَقْتِنا والسَّابِقِ لِعَصْرِنا عَلىٰ ما بِها مِنَ الاخْتِلالِ والتَّناقُصِ فِي جَميعِ الأَحْوالِ، مُبايِنَةً لِجَميعِ الأَمْصارِ، وَمُخالِفَةً لِسائِرِ الدِّيارِ)[1].



(١) «تاريخ بغداد، أَو مدينة السَّلام وأَخبار محدِّثيها وذكر قطانها العلماء من غير أَهلها وارديها»: ج١، ص٤٤٠. للإمام الحافظ أَبي بكر أَحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله (ت ٤٦٣ هـ).

٢٧




أَنْفَعُ لِلْمُسْلمينَ في دِينهِمْ وَدُنْياهُم

(قَدْ عَرَفَ أَهْلُ الخِبْرَةِ؛ أَنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ والمُنَافِقِينَ.. يُكَاتِبُونَ أَهلَ دِينِهِمْ بِأَخْبَارِ المُسْلِمِينَ، وَبِمَا يَطَّلِعُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَسْرَارِهِمْ؛ حَتَّىٰ أُخِذَ جَمَاعَةٌ مِنْ المُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ التَّتَارِ وَسَبْي، وغَيْرُ ذَلِكَ..

بِمُطَالَعَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ لأَهْلِ دِينِهِمْ.

ومِنَ الأَبْيَاتِ المَشْهُورَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

كُلُّ العَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَىٰ مَوَدَّتُهَا

إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاك فِي الدِّينِ

ولِهَذَا وغَيْرِهِ؛ مُنِعُوا أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ وِلايَةِ المُسْلِمِينَ، أَوْ عَلَىٰ مَصْلَحَةِ مَنْ يُقَوِّيهِمْ، أَوْ يَفْضُلُ عَلَيْهِمْ في الخِبْرَةِ وَالأَمَانَةِ

مِنْ المُسْلِمِينَ؛ بَلْ اسْتِعْمَالُ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الكِفَايَةِ.. أَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، والقَلِيلُ مِنْ الحَلَالِ؛ يُبَارَكُ فيهِ، والحَرَامُ الكَثِيرُ يَذْهَبُ، وَيَمْحَقُهُ اللهُ تَعالَىٰ)[1].



---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج١٦، ص٢٨٣. لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ).

٢٨



ما أَصَابَهُم ذَلِكَ إلَّا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِم



ذكَرَ ابنُ كثيرٍ ﵀ في كتابه: «البداية والنِّهايَة»:

(قُلْتُ: وَكَذَا مِنْ بَعْدَهُ إلىٰ زَمانِنَا هَذا، ولا سِيما في أَيَّامِ هُولاكُو بنِ تولىٰ بنِ جِنْكِزْ بنِ خَانٍ التُرْكِيِّ؛ الَّذي وَضَعَ خَليفَتَها، وعَالِمَها، وخَرَّبَ دُورَها، وخَرَّب مَعالِمَها..

وَهَدَمَ قُصُورَها، وأَبادَ الخَواصَّ، والعَوامَ مِنْ أَهْلِها في ذَلِكَ العامِ، وأَخَذَ الأَموالَ والحَوَاصِلَ..

ونَهَبَ الذَّرَارِي وَالأَصَائِلَ، وأَوْرَثَ بِها حُزْنًا يعدد بِهِ في المُبْكِراتِ والأَصَائِلِ، وصَيَّرَها مُثْلَةً في الأَقالِيمِ، وعِبْرَةً لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ عَليمٍ، وتَذْكِرَةً لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ مُسْتَقِيمٍ..

وبُدِّلَت بَعْدَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ بِالنَّغمَاتِ والأَلْحَانِ، وإنْشَادِ الأَشْعارِ، وكانَ، وكان..

وبُعْدَ سَمَاعِ الأَحادِيثِ النَّبَويَّةِ بِدَرْسِ الفَلْسَفَةِ اليُونانِيَّةِ، والمَنَاهِجِ الكَلَامِيَّةِ والتَأْويلاتِ القُرمُطِيَّة.

وبُعْدَ العُلَماءِ بالأَطِبَّاءِ، وبُعْدَ الخَليفَةِ العَبَّاسيِّ بِشَرِّ الوُلاةِ مِنَ الأَنَاسيِّ، وبُعْدَ الرِّياسَةِ والنَّبَاهَةِ بِالخَسَاسَةِ والسَّفَاهَةِ.

وبُعْدَ الطَّلَبَةِ المُشْتَغلِيْنَ بِالظَّلَمَةِ والعَيَّارينَ، وبُعْدَ العِلْمِ بالفِقْهِ والحَدِيثِ وتَعْبيرِ الرُّؤْيا، بِالمُوَشَّحِ ودُوبيتَ وموالِيا..

وما أَصابَهُم ذَلِكَ إِلَّا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦])[١].



(١) «البداية والنهاية»: ج١٣، ص٣٩٧. للحافظ عماد الدِّين أَبي الفداء إِسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي الدِّمشقي رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ).

٢٩



حقيقةُ دولة العبيديين بمصر



قالَ شَيخُ الإسْلامِ ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ:

(فَإِنَّ القَاهِرَةَ بَقيَ وُلاةُ أُمورِهَا[١] نَحْوَ مائَتي سَنةٍ علىٰ غَيرِ شَرِيْعَةِ الإسْلامِ، وكَانوا يُظْهِرُونَ أَنَّهُم رَافِضَةٌ[٢] وهُمْ في الباطِنِ: إسْماعِيلِيَّةٌ[٣] ونُصَيْرِيَّةٌ[٤] وقَرَامِطَةٌ بَاطِنيَّةٌ[٥]. كَمَا قَالَ

---

(١) دولةُ العُبَيديِّين، أَو الفاطميين.

(٢) هُم أَشهَرُ من أَن يُعرَفُوا، وضلالُهُم بَيِّنٌ، فغَلَوْا في آلِ بَيتِهِ ﷺ وجَفَوا أَزواجَهُ وأَصهارَهُ وبَقيَّةَ الأَصحَابِ وكفَّرُوهُم، فصارُوا بابًا دخلَ منهُ الباطنيَّةُ والزَّنادِقَةُ لِهَدمِ أُصُولِ الدِّينِ.

(٣) طائِفةٌ باطنيَّةٌ كافِرَةٌ خارِجَةٌ عن الإسلامِ تنتَسِبُ إِلىٰ إسماعيلَ بنِ جَعفرَ الصَّادِقِ بنِ محمَّدِ الباقِرِ بنِ عليٍّ زَينِ العابدينَ، رحمهُمُ اللهُ ورضيَ عنهُم.

(٤) هُم أَتباعُ أَبي شُعيبٍ محمَّدِ بنِ نُصيرٍ، وكانوا يقُولونَ، إنَّ عليًّا إِلهٌ.

(٥) هُم أَتباعُ حمدانَ بنِ الأَشعَثِ الشَّهيرِ بِقُرمُطٍ هُم في الحقيقَةِ أَكفَرُ منَ اليهُودِ والنَّصارىٰ وأَكفَرُ النَّاسِ بالرَّحمنِ، وفي الظَّاهِرِ يدَّعُونَ الإسلام بمَنزلَةِ من ادَّعى النُّبوَّةَ منَ الكذَّابين.

فيهِمْ الغَزاليُّ - رحِمَهُ اللهُ تعالَىٰ- فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ: ظَاهِرُ مَذْهَبِهِمْ الرَّفْضُ وَبَاطِنُهُ الكُفْرُ المَحْضُ، وَاتَّفَقَتْ طَوَائِفُ الْمُسْلِمِينَ؛ عُلَمَاؤُهُمْ وَمُلُوكُهُمْ وَعَامَّتُهُمْ مِنْ الحَنَفِيَّةِ وَالمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالحَنَابِلَةِ، وَغَيْرِهِمْ:

عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا خَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ، وَأَنَّ قِتَالَهُمْ كَانَ جَائِزًا، بَلْ نَصُّوا عَلَىٰ أَنَّ نَسَبَهُمْ كَانَ بَاطِلًا، وَأَنَّ جَدَّهُمْ كَانَ عُبَيْدَ اللهِ بْنِ مَيْمُونٍ القَدَّاحِ لَمْ يَكُنْ مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَصَنَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ، وَشَهِدَ بِذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ القدوري إِمَامِ الحَنَفِيَّةِ، والشَّيْخِ أَبِي حَامِدٍ الإسفرائيني إِمَامِ الشَّافِعِيَّةِ، ومِثْلِ القَاضِي أَبِي يَعْلَىٰ إِمَامِ الحَنْبَلِيَّةِ، ومِثْلِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ إمَامِ المَالِكِيَّةِ .

وَصَنَّفَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الطَّيِّبِ فِيهِمْ كِتَابًا فِي كَشْفِ أَسْرَارِهِمْ، وَسَمَّاهُ «**كَشْفُ الأَسْرَارِ وَهَتْكُ الأَسْتَارِ**» فِي مَذْهَبِ القَرَامِطَةِ البَاطِنِيَّةِ، وَالَّذِينَ يُوجَدُونَ في بِلَادِ الإِسْلَامِ

مِنْ الإسْماعيليَّة والنُصَيْرِيَّة والدُّرْزِيَّةِ[1] وأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ أَعَانُوا التَّتَارَ[2] عَلَىٰ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ وَزِيرُ - هُولَاكُو - النَّصِيرُ الطُّوسِيُّ [3] مِنْ أَئِمَّتِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَمُلُوكِهِمْ، ثُمَّ الرَّافِضَةُ بَعْدَهُم.

فَالرَّافِضَةُ يُوالُونَ مَنْ حَارَبَ أَهْلَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ، وَيُوالونَ التَّتَارَ، وَيُوالونُ النَّصارَىٰ.

وَقَدْ كانَ بالسَّاحِلِ بَينَ الرَّافِضَةِ، وبينَ الفِرَنْجِ مُهَادَنَةٌ؛ حَتَّىٰ صَارَتِ الرَّافِضَةُ تَحْمِلُ إِلىٰ قُبْرُص خَيْلَ المُسْلِمينَ وَسِلاحَهُمْ، وَحَمَلُوا إِلَىٰ قُبْرُصَ مِنْ خَيْلِ المُسْلِمِينَ وَسِلَاحِهِمْ وَأَسْرَاهُمْ مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللهُ.. وَأُقِيمَ

(١) فرقة باطنية انشائه العبيديون، وهذا الاسم نسبة محمد بن إسماعيل الدرزي.

(٢) شُعوبٌ أَعاجِمٌ من جِنسِ التُّرْكِ؛ قَدِمُوا من وسَطِ آسيا وأَطرَافِها الشَّرقيَّةِ، كانوا وثَنيِّينَ أَوباشًا قَبلَ أَنْ يسلموا.

(٣) محمَّدُ بنُ محمَّدٍ بن الحَسنِ نصيرُ الشِّرْكِ ربطَ شيخَ نكبَةِ المسلمينَ ببغدادَ بِهِ، قتلَ الخليفَةَ والقُضاةَ والفُقَهاءَ المُحَدَّثينَ، واستَبقَىٰ الفلاسِفَةَ والمُنجِّمينَ والصَّابئينَ والسَّحَرَةَ.

سُوقُهُمْ بِالسَّاحِلِ عِشْرِينَ يَوْمًا؛ يَبِيعُونَ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ، وَالخَيْلَ وَالسِّلَاحَ عَلَىٰ أَهْلِ قُبْرُصَ، وَفَرِحُوا بِمَجِيءِ التَّتَارِ..

هُمْ وَسَائِرُ أَهْلِ هَذَا المَذْهَبِ الْمَلْعُونِ مِثْلَ: أَهْلِ جَزَيْنَ وَمَا حَوَالَيْهَا. وَجَبَلِ عَامِلٍ وَنَوَاحِيهِ. وغِلْمَانِ السُّلطانِ، وغَيْرَهُمْ مِنْ الجُنْدِ والصِّبْيَانِ..

وإِذَا انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ عَلَى التَّتَارِ أَقَامُوا المَآتِمَ وَالحُزْنَ، وإِذَا انْتَصَرَ التَّتَارُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَقَامُوا الفَرَحَ وَالسُّرُورَ.

وَهُمْ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَى التَّتَارِ بِقَتْلِ الخَلِيفَةِ، وَقَتْلِ أَهْلِ بَغْدَادَ. وَوَزِيرِ بَغْدَادَ ابْنِ العلقمي الرَّافِضِي؛ هُوَ الَّذِي خَامَرَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَكَاتَبَ التَّتَارَ؛ حَتَّىٰ أَدْخَلَهُمْ أَرْضَ العِرَاقِ بِالْمَكْرِ وَالخَدِيعَةِ، وَنَهَىٰ النَّاسَ عَنْ قِتَالِهِمْ)[1].

❁ ❁ ❁

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٢٨، ص٦٣٥-٦٣٧. لشيخ الإسلام تقي الدِّين أَبي العبَّاس أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام الحراني رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ).

٣٠



مجاعةُ الكُبرى في القاهِرَة



(السَّنَةُ الأُوْلىٰ مِنْ سَلْطَنَةِ؛ المَلِكِ العادِلِ أَبِي بَكْرٍ بنِ أَيُّوبَ علىٰ مِصْرَ، وَهِيَ سَنَةُ سَبْعَةٍ وتِسْعينَ وَخَمْسَمائَةٍ..

فِيها كانَ هُبُوطُ النِّيلِ، وَلَمْ يُعْهَدْ ذَلِكَ فِي الإسْلامِ؛ إِلَّا مَرَّةً واحِدَةً فِي دَوْلَةِ الفَاطميِّينَ(١) ولَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا شَيءٌ يَسيرٌ..

واشْتدَّ الغَلاءُ والوَباءُ بِمِصْرَ؛ فَهَرَبَ النَّاسُ إِلىٰ المَغْرِبِ والحِجازِ واليَمَنِ والشَّامِ، وَتَفَرَّقُوا وَتَمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ..

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ: كَانَ الرَّجُلُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ الصَّغِيرَ وَتُساعِدُهُ

---

(١) وقعَ ذلكَ في أيامِ المُستَنصِرِ الفاطميِّ سنةَ (٤٥٧ هـ) والمُستنصِرُ باللهِ هوَ الخليفَةُ الخامِسُ من خُلفاءِ الدَّولَةِ العُبَيديَّةِ الفاطِميَّةِ في مصرَ والثَّامنَ مُنذُ نشأَتِها بالمغرِبِ، وأَشهَرُ أَحدَاثِ عصرِهِ الشِّدَّةُ المُستَنصِريَّةُ أَو ما يُعرفُ في كُتبِ المُؤرِّخينَ بـ «الشِّدَّةِ العُظْمىٰ» وهيَ مُصطَلَحٌ يُطلَقُ علىٰ المجاعَةِ والخَرابِ الَّذي حَلَّ بمصرَ لمُدَّةِ سَبعِ سنواتٍ عِجافٍ واستمَرَّتِ المِحنَةُ من سنةِ (٤٥٧هـ) إِلىٰ (٤٦٤هـ)، (١٠٦٥م - ١٠٧١م).

أُمُّهُ عَلىٰ طَبْخِهِ وَشَيِّهِ.. وأَحْرَقَ السُّلطانُ جماعَةً فَعَلُوا ذَلِكَ وَلَمْ يَنْتَهُوا.. وكَانَ الرَّجُلُ يَدْعُو صَدِيْقَهُ وَأَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ فَيَذْبَحُهُ وَيَأْكُلُهُ.. وَفَعَلُوا بِالأَطِبَّاءِ كَذَلِكَ[1].

وَفُقِدَتِ المَيتَاتُ والجِيَفُ[2]..

وَكانُوا يَخْتَطِفونَ الصِّبْيَانَ مِنَ الشَّوارِعِ فَيَأْكُلونَهُم..

وَكَفَّنَ السُّلْطَانُ فِي مُدَّةٍ يَسِيْرَةٍ مائَتِي أَلفٍ وَعِشْرينَ أَلفًا..

وامْتَلَاتْ طُرُقاتُ المَغْرِبِ وَالمَشْرِقِ والحِجَازِ والشَّامِ بِرُمَمِ النَّاسِ. وصَلَّىٰ إِمَامُ جَامِعِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ في يَومٍ عَلىٰ سَبْعَمائةِ جَنازةٍ)[3].



(١) فكانُوا يَدعونَهُم ليُبصِرُوا المَرضىٰ فيقتلُونهُم ويأْكلونهم!

(٢) من كثرَةِ ما أَكلُوها!

(٣) «النجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة»: ج٦، ص١٥٦. لجمال الدِّين أَبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأنابكي رحمه الله (ت ٨٧٤ هـ).

٣١



مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ



قالَ شَيخُ الإسْلامِ ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وَلَيْسَ الْمُسْلِمُونَ مُحْتَاجِينَ إِلَيْهِمْ، وَللهِ الحَمْدُ..

فَقَدْ كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ بِالشَّامِ كَاتِبًا نَصْرَانِيًّا لَا يَقُومُ خَرَاجُ الشَّامِ إِلَّا بِهِ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ: لَا تَسْتَعْمِلْهُ. فَكَتَبَ: إِنَّهُ لا غِنَىٰ بِنَا عَنْهُ! فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: لَا تَسْتَعْمِلْهُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِذَا لَمْ نُوَلِّه ضَاعَ المَالُ!

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **مَاتَ النَّصْرَانِيُّ وَالسَّلَامُ.**

وَثَبَتَ - في الصَّحِيحِ - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مُشْرِكًا لَحِقَهُ لِيُقَاتِلَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنِّي لَا أَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ**» [أبو داود: ٢٣٧٢])[١].

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٢٨، ص٦٣٥-٦٤٣. لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٢٨ هـ).

٣٢



سبُّ الصَّحابةِ أَيامَ الفاطميين



(ماتَ المُسْتنصِرُ - المُسْتَعْلي باللهِ أَبُو القَاسِمِ أَحْمَدُ بنُ المُستنصر معد - في ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وثَمانِيْنَ وأَرْبَعِ مائةٍ، وقَدْ قَارَبَ السَّبْعينَ.

وكانَ سَبُّ الصَّحَابة فاشِيًا في أَيَّامِهِ، والسُّنَّةُ غَريبَةٌ مَكْتُومَةٌ.. حتَّىٰ إنَّهُم مَنَعُوا الحافِظَ أَبا إسْحاقٍ الحَبَّالَ مِنْ رِوايَةِ الحَدِيثِ، وهَدَّدُوهُ؛ فامْتَنَعَ)[1].



(١) «سير أَعلام النُبلاء»: ج١٠، ص٩٩. للإمام الحافظ شمس الدِّين محمَّد بن أَحمد بن عثمان الذَّهبي التركماني (ت ٧٤٨ هـ).

٣٣



غلاءٌ شديدٌ بمصرَ



يَروي ابنُ كثيرٍ ﵀ في تَاريْخِهِ «البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ» عن الشِّدَّة الَّتي وَقَعَتْ على المُسْلِمينَ في سَنَةِ (٤٦٢ هـ) فَيَقُولُ:

(وفِيْها ضَاقَتِ النَّفَقَةُ علَىٰ أَميرِ مَكَّةَ؛ فأَخَذَ الذَّهَبَ مِنْ أَسْتارِ الكَعْبَةِ والميزابِ وبابِ الكَعْبَةِ، فَضَرَبَ ذَلِكَ دَرَاهِمَ ودَنانِيرَ، وَكَذِلِكَ فَعَلَ صَاحِبُ المَدِيْنَةِ بِالقَنادِيلِ الَّتي في المسْجِدِ النَّبَويِّ.

وفِيها كانَ غَلاءٌ شَديدٌ بِمصْرَ؛ فَأَكَلُوا الْجِيَفَ وَالْمَيْتَاتِ وَالْكِلَابَ، فَكَانَ يُبَاعُ الْكَلْبُ بِخَمْسَةِ دَنانير، ومَاتَتِ الفِيلَةُ فأُكِلَتْ ميتَاتُها، وَأُفْنِيَتِ الدَّوَابُّ، فَلَمْ يَبْقَ لِصَاحِبِ مِصْرَ سِوَىٰ ثَلاثَةِ أَفْراسٍ، بَعدَ أَنْ كانَ لَهُ العَدَدُ الكَثيرُ منَ الخيلِ والدَّوابِّ، وَنَزَلَ الوَزِيرُ يَوْمًا عَنْ بَغْلَتِهِ فَغَفَلَ الغُلَامُ عَنْهَا

لِضَعْفِهِ مِنَ الْجُوعِ؛ فَأَخَذَهَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فذَبَحُوها وأَكَلُوهَا، فأُخِذُوا فَصُلِبُوا فما أَصْبَحوا إِلَّا وعِظامُهُمْ بادِيَةٌ، قدْ أَخَذَ النَّاسُ لُحُومَهُمْ فأَكلُوهَا.

وَظُهِرَ عَلَىٰ رَجُلٍ يَقْتُلُ الصِّبْيَانَ وَالنِّسَاءَ وَيَدْفِنُ رءوسهم وأَطرافهم، ويبيع لحومهم؛ فقتل وأُكل لحمه، وَكَانَتِ الْأَعْرَابُ يَقْدَمُونَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُونَهُ فِي ظَاهِرِ الْبَلَدِ، لَا يَتَجَاسَرُونَ يَدْخُلُونَ لِئَلَّا يُخْطَفَ وَيُنْهَبَ مِنْهُمْ..

وَكَانَ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْفِنَ مَيِّتَهُ نَهَارًا، وَإِنَّمَا يَدْفِنُهُ لَيْلًا خُفْيَةً، لِئَلَّا يُنْبَشَ فَيُؤْكَلَ.

وَاحْتَاجَ صَاحِبُ مِصْرَ حَتَّىٰ بَاعَ أَشْيَاءَ مِنْ نَفَائِسِ مَا عِنْدَهُ، مِنْ ذَلِكَ إحدىٰ عَشَرَ أَلْفَ دِرْعٍ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ سَيْفٍ مُحَلًّىٰ، وثَمانُونَ أَلْفَ قِطْعة بلوركبار، وَخَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ قِطْعَةٍ مِنَ الدِّيبَاجِ الْقَدِيمِ. وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأَرخص ثمن، وَكَذَلِكَ الْأَمْلَاكُ وَغَيْرُهَا، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ هَذِهِ النَّفَائِسِ لِلخَلِيْفَةِ، مِمَّا نُهِبَ مِنْ بَغْدَادَ في وَقْعَةِ البَساسِيْرِيِّ.

وفِيْهَا وَرَدَتِ التَّقَادُمُ مِنَ المَلِكِ أَلبْ أَرِسْلانَ إِلَىٰ الخَلِيفَةِ. وفِيها اسْمُ وليِّ العَهْدِ ابنُ الخَلِيفَةِ عَلَى الدَّنانِيرِ والدَّرَاهِمِ، وَمَنَعَ التَّعَامُلَ بِغَيْرِهَا، وَسَمَّىٰ المَضْرُوبَ عَلَيْهِ الأَمِيْرِيَّ.

وَفِيهَا وَرَدَ كِتَابُ صَاحِبِ مَكَّةَ إِلَى الْمَلِكِ أَلْبِ أَرْسَلَانَ، وَهُوَ بِخُرَاسَانَ يُخْبِرُهُ بِإِقَامَةِ الخُطْبَةِ بِمَكَّةِ لِلْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ ولِلسُّلْطَانِ، وَقَطَعَ خِطْبَةَ المِصْرِيِّيْنَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً سَنِيَّةً، وَأَجْرَىٰ لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ.

وَفِيهَا تَزَوَّجَ عَمِيدُ الدَّوْلَةِ ابْنُ جَهِيرٍ بابْنَةِ نِظَامِ المُلْكِ بالرَّيِّ. وحَجَّ بالنَّاسِ أَبُو الغَنائِم العَلَوِيُّ..)[1].

❁ ❁ ❁

(١) «البداية والنهاية»: ج٦، ص١٠٩-١١٠. للحافظ عماد الدِّين أَبي الفداء إِسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدِّمشقي رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ).

٣٤



الغَدْرُ يَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ



قالَ شَيخُ الإِسْلامِ ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ:

(وَقَدْ عَرَفَ الْعَارِفُونَ بِالْإِسْلَامِ: أَنَّ الرَّافِضَةَ تَمِيلُ مَعَ أَعْدَاءِ الدِّينِ. وَلَمَّا كَانُوا مُلُوكَ الْقَاهِرَةِ كَانَ وَزِيرُهُمْ مَرَّةً يَهُودِيًّا، وَمَرَّةً نَصْرَانِيًّا أَرْمِينِيًّا، وَقَوِيَتِ النَّصَارَىٰ بِسَبَبِ ذَلِكَ النَّصْرَانِيِّ الْأَرْمِينِيِّ، وَبَنَوْا كَنَائِسَ كَثِيرَةً بِأَرْضِ مِصْرَ فِي دَوْلَةِ أُولَئِكَ الرَّافِضَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَانُوا يُنَادُونَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ: مَنْ لَعَنَ وَسَبَّ؛ فَلَهُ دِينَارٌ وَإِرْدَبٌّ..

وَفِي أَيَّامِهِمْ أَخَذَتِ النَّصَارَىٰ سَاحِلَ الشَّامِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ فَتَحَهُ نُورُ الدِّينِ وَصَلَاحُ الدِّينِ. وَفِي أَيَّامِهِمْ جَاءَتِ الفرنج إِلَىٰ بلبيس وَغَلَبُوا مِنَ الفرنج؛ فَإِنَّهُمْ مُنَافِقُونَ، وَأَعَانَهُمْ النَّصَارَىٰ، وَاللهُ لَا يَنْصُرُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ يُوَالُونَ النَّصَارَىٰ؛ فَبَعَثُوا إِلَىٰ نُورِ الدِّينِ يَطْلُبُونَ النَّجْدَةَ فَأَمَدَّهُمْ بِأَسَدِ الدِّينِ

وَابْنِ أَخِيهِ صَلَاحِ الدِّينِ. فَلَمَّا جَاءَتِ الْغُزَاةُ الْمُجَاهِدُونَ إِلَىٰ دِيَارِ مِصْرَ، قَامَتْ الرَّافِضَةُ مَعَ النَّصَارَىٰ؛ فَطَلَبُوا قِتَالَ الْغُزَاةِ الْمُجَاهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَرَتْ فُصُولٌ يَعْرِفُهَا النَّاسُ؛ حَتَّىٰ قَتَلَ صَلَاحُ الدِّينِ مُقَدِّمَهُمْ شَاوَر.

وَمِنْ حِينَئِذٍ ظَهَرَتْ بِهَذِهِ الْبِلَادِ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ، وَصَارَ يُقْرَأُ فِيهَا أَحَادِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيُذْكَرُ فِيهَا مَذَاهِبُ الْأَئِمَّةِ، وَيَتَرَضَّىٰ فِيهَا عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ..

وَإِلَّا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ شَرِّ الْخَلْقِ؛ فِيهِمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَرْصُدُونَهَا، وَفِيهِمْ قَوْمٌ زَنَادِقَةٌ دَهْرِيَّةٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ، وَخَيْرُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ الرَّافِضَةُ، وَالرَّافِضَةُ شَرُّ الطَّوَائِفِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ)[1].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: ج٢٦، ص٢٧٩-٢٨٠. لشيخ الإسلام تقي الدِّين أَبي العبَّاس أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام الحراني رحمه الله (ت ٧٢٨ هـ).

٣٥



ملعونين اينما ثقفوا



ذكَرَ ابنُ كثيرٍ ﵀ عَنِ الوَزيرِ ابنِ العلقَمي، قبحه الله:

(كانَ رَافِضيًّا خَبيثًا رديء الطويَّة على الإسلام وأَهله، وقد حصل له من التعظيم والوجاهة في أَيَّامِ المستعصم ما لم يحصُلْ لِغَيرِه من الوزراء.

ثُمَّ مالا على الإسلام وأَهله التَّتار أَصحاب هولاكو خان؛ حتىٰ فعل ما فعل بالإسلام وأَهله مما تقدم ذكره..

ثمَّ حصل له بعد ذلك من الإهانة والذِّل علىٰ أَيدي التَّتار الَّذين مالاهم وزال عنه ستر الله، وذاق الخزي في الحياة الدُّنيا، ولعذاب الآخرة أَشَدُّ وأَبقىٰ..

وقد رأَته امرأَةٌ؛ وهو في الذِّلِ والهوانِ، وهو راكبٌ في أَيَّامِ التَّتارِ بِرذَونا، وهو مرسم عليه، وسائق يسوق به ويضرب

فرسه، فوقفت إِلىٰ جانبه، وقالت له: يا ابن العلقمي! هكذا كان بنو العبَّاس يعاملونك؟

فوقعت كلمتُها في قلبه، وانقطع في دارِه إِلىٰ أَن مات كمدًا، وغبينةً، وضيقًا، وقِلَّة، وذِلَّة... وله من العمر ثلاث وستون سنة، ودفن في قبور الرَّوافض، وقد سَمِعَ بأُذنيه، ورأىٰ بعينيه من الإِهانةِ منَ التَّتارِ والمسلمينَ ما لا يُحَدُّ ولا يوصف. وكانت دولتُه أَربع عشرة سنة)[1].



(١) «البداية والنهاية»: ج١٣، ص٢١٣. للحافظ عماد الدِّين أَبي الفداء إِسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدِّمشقي رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ).

٣٦



أَسْبَابُ نِهايَةِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ



ذَكَرَ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في مُحاوَلَةٍ منهُ لتَلمُّسِ أَسْبابِ نِهايَةِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ عَلىٰ أَيْدِي التَّتَارِ فيَقولُ:

(وَلَمْ تَكُنْ أَيْدِي بَنِي العَبَّاسِ حَاكِمَةً عَلىٰ جَمِيعِ البِلادِ، كَما كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ قَاهِرَةً لِجَميعِ البِلادِ وَالأَقْطَارِ وَالأَمْصارِ؛ فإِنَّهُ خَرَجَ عَنْ بَنُو العَبَّاسِ بِلادُ المَغْرِبِ..

مَلَكَها فِي أَوائِلِ الأَمْرِ بَعْضُ بِني أُمَيَّةَ مِمَّنْ بَقيَ مِنْهُم مِنْ ذُرِّيةِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ مُعاويةَ بنِ هشامِ بن عبد الملكِ..

ثُمَّ تغلَّبَ عَلَيْهِ المُلوكُ بَعْدَ دُهُورٍ مُتَطاوِلَةٍ، كَما ذَكَرْنا..

وَقَارنَ بَنو العبَّاسِ دَوْلَةَ المُدَّعينَ أَنَّهُم مِنَ الفاطِميِّينَ بِبِلادِ مِصْرَ وَبَعْضِ بِلادِ المَغْرِبِ، وما هُناكَ..

وبلادِ الشَّام فِي بَعْضِ الأَحْيانِ والحَرَمين في أَزْمانٍ طَويلَةٍ، وكَذَلِكَ أُخِذَتْ مِنْ أَيْدِيهِم بِلادُ خُرَاسانَ وما وَراءَ النَّهْرِ، وتَدَاوَلَتْها المُلوكُ دُوَلًا بَعْدَ دُوَلٍ؛ حتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مَعَ الخَليفَةِ مِنْهُم إِلَّا بَغْدادُ، وَبَعْضُ بِلادِ العِراقِ..

وَذَلِكَ لِضَعْفِ خِلافَتِهِمْ واشْتِغالِهِمْ بالشَّهَواتِ. وَجَمْعِ الأَمْوالِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقاتِ..

كَما ذُكِرَ ذَلِكَ مَبْسُوطًا فِي الحَوادِثِ والوَفيَّاتِ)[1].



(١) «البداية والنهاية»: ج٧، ص٢٠٦. للحافظ عماد الدِّين أَبي الفداء إِسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي الدِّمشقي رحمه الله (ت ٧٧٤ هـ).

٣٧



اليَهودُ قومٌ بُهتٌ كَثيرةُ الغَدرِ والخِيانةِ



عَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ(١)، حَتَّىٰ أَلْجَأَهُمْ إِلَىٰ قَصْرِهِمْ(٢)؛ فَغلَبَ عَلَى الأَرْضِ، وَالزَّرْعِ، وَالنَّخْلِ(٣)؛ فَصَالَحُوهُ(٤) عَلَىٰ أَنْ يُجْلَوْا مِنْهَا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ(٥)، وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ(٦)، وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا.

فَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيِّبُوا شَيْئًا(٧)؛ فَإِنْ

---

(١) أَي: حارَب يهودَ خيبر. وكانت في السَّنةِ السَّابعَةِ من الهجرة.

(٢) أَي: إِنَّهم اضْطُرُّوا إِلى التَّحصُّنِ بالقُصورِ خوْفًا وفزَعًا.

(٣) أَي:فانتصَرَ عليهم، وأَخذَ أَرضَهم ونخْلَهم.

(٤) أَي: فعاهَدوه واتَّفَقوا معَه.

(٥) أَي: مِقدارَ ما تَحمِلُ الجِمالُ مِن الأَمتِعةِ من الأَسلِحَةَ والدُّروعَ فقط.

(٦) أَي: أَن يأْخُذَ النَّبيُّ ﷺ «الصَّفراءَ»: الذَّهبَ. «والبيْضاءَ»: الفِضَّةَ.

(٧) أَي: بشرطِ أَلاَّ يُخفوا شيئًا من الذَّهبِ والفِضَّةِ والحُليِّ وغيرِ ذلك مِن الأَمتعَةِ.

فَعَلُوا[١] فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عِصْمَةَ[٢]. فَغَيَّبُوا مَسْكًا[٣] فِيهِ مَالٌ وَحُلِيٌّ لِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَىٰ خَيْبَرَ، حِينَ أُجْلِيَتِ النَّضِيرُ[٤].

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّ حُيَيٍّ:

«مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيٍّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟».

فَقَالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ[٥].

فَقَالَ ﷺ: «الْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ».

فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ؛ فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ. وَقَدْ كَانَ حُيَيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ خَرِبَةً، فَقَالَ:

---

(١) أَي: فإِنْ أَخفَوْا شيئًا أَو خبَّؤوه.

(٢) أَي: فقد نَقَضوا العهْدَ والصُّلحَ؛ فلا أَمانَ لهم ولا مُعاهدَةَ ولا صُلحَ.

(٣) أَي: فأَخْفَوا «مَسْكًا» أَي: كِيسًا مِن جِلْدٍ فيه حُليٌّ لحُيَيِّ بنِ أخطَبَ.

(٤) حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ؛ قُتِل قبلَ فتْحِ خيبرَ. وحين أَخرجَ النَّبيُّ ﷺ بَني النَّضيرِ مِن المدينةِ؛ فأَخَذ حُيَيٌّ هذا الكيسَ الَّذي فيه حُلِيُّ بَني النَّضيرِ معَه.

(٥) أَي: أَنفَقناه في حُروبِنا ونَفقاتِنا في مَعايِشِنا.

قَدْ رَأَيْتُ حُيَيًّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ هَاهُنَا؛ فَذَهَبُوا فَطَافُوا، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي خَرِبَةٍ[1].

فَقَتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنَيْ أَبِي حُقَيْقٍ[2]، وَأَحَدُهُمَا زَوْجُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَسَبَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُمْ[3] وَذَرَارِيَّهُمْ[4]، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ لِلنَّكْثِ الَّذِي نَكَثُوا[5]، وَأَرَادَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ مِنْهَا[6]، فَقَالُوا:

يَا مُحَمَّدُ! دَعْنَا نَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نُصْلِحُهَا[7]، وَنَقُومُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا لِأَصْحَابِهِ غِلْمَانٌ يَقُومُونَ عَلَيْهَا، فَكَانُوا لَا يَتَفَرَّغُونَ أَنْ يَقُومُوا.

---

(١) أَي: فوجَد المسلمون الكِيسَ الَّذي به الحُليُّ.

(٢) أَي: قَتل النَّبيُّ ﷺ عبدَ اللهِ بنَ أَبي الحُقَيقِ أَبا رافِعٍ؛ وهو تاجِرٌ كَبيرٌ من أَعْيانِ اليَهودِ.

(٣) أَي: أَسَر نِساءَهم.

(٤) أَي: وأَولادَهم.

(٥) النكث: الرُّجوع عن العهد ونقض المواثيق.

(٦) أَي: أَراد النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُخرِجَهم مِن أَرضِهم.

(٧) أَي: اترُكْنا نزرعْ ونَعمَلْ في أَرضِ خيبَرَ.

فَأَعْطَاهُمْ خَيْبَرَ عَلَىٰ أَنَّ لَهُمُ الشَّطْرَ[١] مِنْ كُلِّ زَرْعٍ وَنَخْلٍ، وَشَيْءٍ مَا بَدَا[٢] لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ؛ يَأْتِيهِمْ كُلَّ عَامٍ يَخْرُصُهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يُضَمِّنُهُمُ الشَّطْرَ.

قَالَ: فَشَكَوْا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ شِدَّةَ خَرْصِهِ[٣]، وَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ. فَقَالَ: يَا أَعْدَاءَ اللهِ! أَتُطْعِمُونِي السُّحْتَ[٤].

وَاللهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ[٥] إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَىٰ أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ.

---

(١) أي: لهم نِصْفُ ما يَخرُجُ مِنها.

(٢) أي: المدَّةَ الَّتي يراه ويرتضِيه.

(٣) «الخَرْصُ»: يقال خَرَص النَّخلةُ والكَرْمة يَخْرُصها خَرْصًا: إذا حَزَرَ وقَدَّر ما عليها من الرُّطب تَمْرًا، ومن العنب زبيبًا؛ فهو من الخَرْص: الظنُّ؛ لأَنَّ الحَزْر إِنَّما هو تقدير بظن.

(٤) «السُّحت»: الحَرَام الذي لا يَحِلُّ كسْبُه؛ لأَنَّه يَسْحَت البركة: أَي يُذْهبها. والسَّحت من الإِهْلاك والاستِئصال.

(٥) «البغض» : عكس الحبّ. وهو الكُرْهُ والمقت.

فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ.

قَالَ: وَرَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَيْنَيْ صَفِيَّةَ خُضْرَةً، فَقَالَ:

«يَا صَفِيَّةُ! مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ؟».

فَقَالَتْ: كَانَ رَأْسِي فِي حَجْرِ ابْنِ أَبِي حُقَيْقٍ وَأَنَا نَائِمَةٌ؛ فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حَجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي!

وَقَالَ: تَمَنِّينَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟

قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ؛ قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي وَأَخِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ:

إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ..

حَتَّىٰ ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ؛ ثَمَانِينَ وَسْقًا[1] مِنْ تَمْرٍ كُلَّ عَامٍ، وَعِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ.

---

(١) الوَسْقُ: مِكيالٌ كبيرٌ يسَعُ ستِّين صاعًا، ويُعادِلُ (١٣٠) كيلو جرامًا تقريبًا. والصَّاعُ أربعة أَمْدَادٌ، والمُدُّ: مقدار ما يملأ الكفين.

فَلَمَّا كَانَ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، غَشُّوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَلْقَوُا ابْنَ عُمَرَ مِنْ فَوْقِ بَيْتٍ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَنْ كَانَ لَهُ سَهْمٌ[1] مِنْ خَيْبَرَ؛ فَلْيَحْضُرْ حَتَّىٰ نَقْسِمَهَا بَيْنَهُمْ.

فَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَئِيسُهُمْ: لَا تُخْرِجْنَا دَعْنَا نَكُونُ فِيهَا كَمَا أَقَرَّنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ.

فَقَالَ عُمَرُ لِرَئِيسِهِمْ:

أَتُرَاهُ سَقَطَ عَنِّي قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ:

«كَيْفَ بِكَ! إِذَا أَفْضَتْ بِكَ رَاحِلَتُكَ[2] نَحْوَ الشَّامِ يَوْمًا، ثُمَّ يَوْمًا». وَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَ مَنْ كَانَ شَهِدَ خَيْبَرَ مِنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ)[3].

---

(١) أي: النَّصيبُ.

(٢) «الرَّاحلةُ»: البَعيرُ القويّ على الأَسفار والأَحمال، ويَقَعُ على الذَّكر والأُنثىٰ.

(٣) «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: برقم (٥١٩٩).» للإمام العلاَّمة الحافظ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي رحمه الله (ت ٣٥٤).

٣٨



لا تَأْتِي السُّلْطَانَ



(قالَ مُوسَىٰ بْنُ اسْمَاعِيْلَ: سَمِعْتُ حَمَّادًا يَقُولُ لِرَجُلٍ:

إِنْ دَعَاكَ الْأَمِيرُ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِ:

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ **فَلَا تَأْتِهِ!**

وقَالَ آدم بن إِياس:

شَهِدْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ وَدَعَوْهُ - يَعْنِي السُّلْطَانَ - فَقَالَ:

أَحْمِلُ لِحْيَةً حَمْرَاءَ لِهَؤُلَاءِ؟ لَا وَاللهِ لَا فَعَلْتُ.

وقالَ إِسْحاقُ بنُ الطَّبَّاعِ: سَمِعْتُ حمَّادًا بنَ سَلَمةَ يَقولُ:

مَنْ طَلَبَ الحَديثَ لِغَيرِ اللهِ مُكِرَ)[1].

---

(١) «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»: ص٣٧٤. للإمام الحافظ المؤرخ محمد أحمد بن عثمان بن قايماز الذَّهبي التركماني رحمه الله (ت ٧٤٨ هـ).

٣٩



كَم أَنْفَقْتَ فِي الحَجِّ



(عنْ سُفْيانَ الثَّوريِّ[١] رَحِمَهُ الله قالَ:

أُدْخِلْتُ عَلَى المَهْدِيِّ بِمِنًى؛ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالإِمْرَةِ.

فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! طَلَبْنَاكَ، فَأَعجَزْتَنَا، فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي جَاءَ بِكَ، فَارْفعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ.

---

(١) أَبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (٧٩ هـ-١٦١ هـ) شيخ الإسلام، إِمام الحفاظ، سيِّد العلماء العاملين في زمانه، أَمير المؤمنين في الحديث، المجتهد المطلق، العابد الزَّاهد، قدوة العصر، قال عنه الذهبي في «السير»: (هو شيخ الإسلام، إِمام الحفاظ، سيِّد العلماء العاملين في زمانه... بعد أَن مات أَبو حنيفة في سجون الخليفة العباسي أَبي جعفر المنصور لرفضه تولِّي القضاء، سأَل المنصور عمَّن يلي أَمر القضاء، فأَشاروا عليه بسفيان الثوري وأَخبروه بأَنه أَعلم أَهل الأَرض، فأَرسل في طلبه وهو يتهرَّب حتَّى اضطر إِلى الخروج من الكوفة إِلى مكة سنة (١٥٥ هـ) فأَرسل المنصور في الأَقاليم بمنادٍ يقول: من جاء بسفيان الثوري فله عشرة آلاف..)

فَقُلْتُ: قَدْ مَلأَتَ الأَرْضَ ظُلْمًا وَجَوْرًا؛ فَاتَّقِ اللهَ، وَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ عِبرَةً.

فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيتَ إِنْ لَمْ أَسْتطِعْ دَفْعَهُ؟

قَالَ: تُخَلِّيهِ وَغَيْرَكَ.

فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ.

قُلْتُ: أَبْنَاءُ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحسَانٍ بِالبَابِ؛ فَاتَّقِ اللهَ! وَأَوْصِلْ إِلَيْهِم حُقُوقَهُم.

فَطَأْطَأَ رَأْسَه، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! ارْفَعْ إِلَيْنَا حَاجَتَكَ.

قُلْتُ: وَمَا أَرْفَعُ؟ حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيْلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ، قَالَ: حَجَّ عُمَرُ، فَقَالَ لِخَازِنِهِ: كَمْ أَنفَقْتَ؟

قَالَ: بَضْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَإِنِّي أَرَىٰ هَا هُنَا أُمُوْرًا لاَ تُطِيْقُهَا الجِبَالُ)[1].

---

(١) «حلية الأُولياء وطبقات الأَصفياء»: ج٧، ص٤٤- ٤٥. للحافظ أَبي نعيم أَحمد بن عبد الله الأَصفهاني رحمه الله (ت ٤٣٠ هـ).

٤٠



كُلُّكُمْ مَجانِينُ



(دَخَلَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللهِ عَلىٰ مَجْنونٍ مِنْ بَني أَسَدٍ..

فأَكْثَروا العَبَثَ بِهِ! فَقَالَ لَهُمْ:

يا بَني تَيْمِ اللهِ! مَا أَعْلَمُ قَومًا خَيرًا مِنْكُمْ.

قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ:

بَنُو أَسَدٍ لَيسَ فِيهِمْ مَجْنونٌ غَيْرِي؛ قَدْ قَيَّدُونِي..

وَأَنْتُمْ **كُلُّكُمْ مَجانِينُ**، وليسَ فِيكُمْ مُقَيَّدٌ)[١].



---

(١) «أَخبارُ الظِّرف والمتماجنين»: ص ٤٦. لأَبي الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد علي القرشي البغدادي المعروف ابن الجوزي ﵀ (ت ٥٩٧ هـ).

٤١




إِلَّا أَلْقَيتَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

(عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ:

إِنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه أُتِيَ بكُنُوزِ كِسْرَىٰ، فقَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ أَرْقَمَ: أَتَجْعَلُهَا فِي بَيْتِ المَالِ حَتَّىٰ نُقَسِّمَها؟

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لَا واللهِ! لا أُؤْوِيْها إِلىٰ سقفٍ.

حَتَّىٰ أُمْضِيَها؛ فوضَعَهَا فِي وَسَطِ المَسْجِدِ.

وِباتُوا عَلَيْها يَحْرُسُونَها، فَلَمَّا أَصْبحَ كَشَفَ عَنْها؛ فرَأَى الحَمْراءَ والبَيْضاءَ ما يَكادُ يَتَلأْلأُ..

فبَكَىٰ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه:

مَا يُبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ هَذَا لَيَوْمُ شُكْرٍ، وَيَوْمُ سُرُورٍ، وَيَوْمُ فَرَحٍ؟

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه:

وَيْحَكَ! إِنَّ هَذَا لَمْ يُعْطَهُ قَوْمٌ قَطُّ؛ إِلَّا أُلْقِيت بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ[1].



(١) «تاريخ مدينة دمشق»: ج٤٤، ص٣٣٩. للإمام العالم الحافظ أَبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشَّافعي المعروف بابن عساكر رحمه الله (ت ٥٧١ هـ).

٤٢



لُكَعَ ابنِ لُكَعَ



عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ[(١)]»[(٢)].

---

(١) «لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»: أَي: لئيمُ ابنُ لَئيم؛ مَن لا يُعرَفُ له أَصلٌ، ولا يُحمَدُ له خُلُقٌ، يعني السَّفَلَة من النَّاس؛ فهو وصفٌ يُطلَقُ على الحُمقِ والذَّمِّ. (واللُّكَع عِنْدَ الْعَرَبِ: العَبد، ثُمَّ اسْتُعمِل في الحُمق والذَّم. يُقَالُ للرجُل: لُكَعُ، ولِلْمَرْأَةِ لَكَاعِ. وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي النِّدَاءِ، وَهُوَ اللَّئيم. وَقِيلَ: الوَسخ، وَقَدْ يُطْلَق عَلَى الصَّغِيرِ؛ فإِنْ أُطْلِق عَلَى الْكَبِيرِ أُرِيد بِهِ الصَّغيرُ العلم والعقل) «النهاية» (٤/ ٢٦٨).

في هذا الحديثِ يُبيِّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّه في آخِرِ الزَّمانِ وقبلَ قِيامِ القيامةِ يَسودُ مَن ليس بأَهلٍ للقِيادةِ والحُكمِ؛ فيَكونُ هو الممكَّنَ في الأَرضِ السَّعيدَ فيها، وهذا مِن تبَدُّلِ الأَحوالِ وتَغيُّرِها إِلى الفسادِ والشَّرِّ؛ فلا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يكونَ أَكثَرَ النَّاسِ سَعادةً ومالًا، وأَطيبَهم عَيشًا، وأَرفعَهم مَنصِبًا، وأَنفَذَهم حُكمًا؛ فهؤلاء الأَربعُ جِماعُ الدُّنيا.

(٢) رواه الترمذي: (٢٢٠٩) وأحمد: (٢٣٣٠٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا؛ حَتَّىٰ تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ**»[1][2].



---

(١) رواه الإمام أَحمد في «مسنده»: (٣٨٢٠).

(٢) أَي: حتَّى تصير الدُّنيا من مالها ورياستها وجاهها للكع ابن لكع؛ لأَنَّ الكرام يقلُّون في آخر الزَّمان، وتغلب اللئام.

في الحديثِ: يخبر النَّبيُّ ﷺ بما سيَحدُثُ في آخِرِ الزَّمانِ من تقلب الأَحوال: فتغلب أَهل الخسة واللؤم والفساد على البلاد؛ فيتملكونها بالقهر والغلبة، ويسوسون النَّاس بالجهل والهوى، ويكون هذا الصنف من الخلق: هم أَسعد النَّاس بالدُّنيا، وأَعظمهم حظًا فيها، ومكانة عند أَهلها؛ وذلك لدروس معالم النُّبوة، وانتشار الجهل، وذهاب العلم والعلماء والصلحاء.

٤٣



سادَ القَبِيلَةَ مُنافِقُها



(ذَكَرَ الإِمَامُ أَحمَدُ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

تُوشِكُ الْقُرَىٰ أَنْ تُخَرَّبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ.

قِيلَ: وَكَيْفَ تُخَرَّبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ؟!

قَالَ: **إِذَا عَلَا فُجَّارُهَا أَبْرَارَهَا، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُوهَا**)[١].



---

(١) «الداءُ والدَّواء»: ص٨٥. للإِمام العلاَّمة أَبي عبدِ الله شَمسُ الدِّينِ محمَّدِ بنُ أَبي بكرِ بنِ أَيُّوبَ بنِ سعدٍ الزُّرْعيِّ الدِّمشقيِّ الحنبليِّ، المعروف بابنِ قَيم الجَوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٥١).

٤٤



آثارُ المَعْصِيَةِ



قالَ الإمامُ القُدوَةُ شيخُ الإسلامِ؛ الفُضَيْلُ بنُ عياضٍ الخُراسانِيُّ، المُلَقَّبُ بعابِدِ الحَرَمَينِ ﵀ (ت١٨٧هـ):

(إِنِّي لَأَعْصِي اللهَ؛ فَأَرىٰ ذَلِكَ فِي خُلُقِ دابَّتي وَامْرأَتي)[(١)].



(١) «الداءُ والدَّواء»: ص٩٣. للإمام العلاَّمة أبي عبدِ الله شَمسُ الدِّينِ محمَّدِ بنُ أبي بكرِ بنِ أيُّوبَ بنِ سعدٍ الزُّرْعيِّ الدِّمشقيِّ الحنبليِّ، المعروف بابنِ قَيم الجَوزيَّة ﵀ (ت ٧٥١).

٤٥



مَنْ مَعْصومٌ مِنَ البَلاءِ



قالَ الإمامُ القُرْطُبيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(كُلُّ بَلدَةٍ يَكونُ فِيها أَرْبَعَةٌ؛ فَأَهْلُها مَعْصومونَ مِنَ البَلاءِ:

إِمامٌ عادِلٌ لا يَظْلِمُ.

وَعالِمٌ عَلىٰ سَبيْلِ الهُدَىٰ.

وَمَشايِخُ يَأْمُرونَ بِالمَعْروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَيُحَرِّضونَ عَلىٰ طَلَبِ العِلْمِ والقُرآنِ.

وَنِساؤُهُمْ مَسْتوراتٌ لَا يَتَبَرَّجْنَ تَبُرَّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُوْلىٰ)[1].



(١) «الجامع لأَحكام القُران»: ج٤، ص٤٩. لأَبي عبد الله محمد بن أَحمد الأَنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ). في تفسير الآية: (٢١) من سورة آل عمران.

٤٦



أَفَلا قَعَدَ في بَيْتِ أَبِيهِ وأُمِّهِ



عنْ أَبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجاءَهُ العامِلُ حِينَ فَرَغَ مِن عَمَلِهِ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ! هذا لَكُمْ وهذا أُهْدِيَ لِي.

فقالَ لَهُ ﷺ: «**أَفَلا قَعَدْتَ في بَيْتِ أَبِيكَ وأُمِّكَ؛ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَىٰ لكَ، أَمْ لا؟**»[١] ثُمَّ قامَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاةِ؛ فَتَشَهَّدَ، وأَثْنَىٰ علَىٰ اللهِ بما هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قالَ:

«**أَمَّا بَعْدُ: فَمَا بَالُ العَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينا فيَقولُ: هذا مِن عَمَلِكُمْ، وهذا أُهْدِيَ لِي؛ أَفَلا قَعَدَ في بَيْتِ أَبِيهِ وأُمِّهِ فَنَظَرَ: هلْ يُهْدَىٰ لَهُ أَمْ لا؟ فَوالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ! لا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْها**

---

(١) أَيِ: لو قَعَدْتَ في بيتِ أَبِيك أَو بيتِ أُمِّك، لم يكن لِيُهْدَىٰ إِليك شيءٌ، وإِنَّما أُهدِيَ إِليك لأَجلِ العملِ الذي تَقَلَّدْتَه.



شيئًا[1]؛ إِلَّا جاءَ به يَومَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ علَىٰ عُنُقِهِ[2]: إِنْ كانَ بَعِيرًا جاءَ بِهِ لَهُ رُغاءٌ[3]، وإِنْ كانَتْ بَقَرَةً جاءَ بِها لَها خُوارٌ[4]، وإِنْ كانَتْ شاةً جاءَ بِها تَيْعَرُ[5]؛ فقَدْ بَلَّغْتُ».

فقالَ أَبو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ؛ حتَّىٰ إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلىٰ عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ. قالَ أَبو حُمَيْدٍ: وقدْ سَمِعَ ذلكَ مَعِي زَيْدُ بنُ ثابتٍ، مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَسَلُوهُ!)[6].

---

(١) أَي: لا يَأْخُذ أَحدٌ شيئًا مِن الصَّدَقَةِ بغَيْر حَقٍّ.
(٢) أَي: يأْتي يومَ القيامةِ حاملًا ما أَخَذَ وسَرَق منها علىٰ عُنقِه.
(٣) أَي: إِنْ كان ما أَخَذه بعيرًا؛ يأْتي به حاملًا إِيَّاه علىٰ عُنقِه له رُغَاءٌ، هو صوتُ البَعِير.
(٤) أَي: إِن كانتْ بقرةً جاءتْ لها خُوَارٌ، وهو صوتُ البَقَرِ.
(٥) أَي: تَصِيح، وَاليُعَار: صَوْتُ الغَنَمِ.
(٦) رواه البخاري: (٦٦٣٦). ومن فقه الحديث:
- أَنَّ الوِلَايَةَ والإِمَارَةَ مِن الأَمانةِ التي سيُسأَل عنها الوَالِي والأَمِيرُ؛ فكلُّ مَن تولَّىٰ أَمرًا للمُسلِمين؛ فإِنَّه مَسؤُول عنه أَمامَ الله تعالىٰ، ولا يَنبغي لِمَن تولَّىٰ أَمرًا أَن يَستغِلَّ هذا الأَمرَ لتحقيقِ مصلحةٍ خاصَّةٍ له لم يكن لِيُحقِّقَها إِلَّا بتَوَلِّيه هذا المنصبَ.
- مُحاسبةُ المؤتَمَن، ومَنعُ العامِلِ مِن قَبولِ الهديَّةِ ممَّن له عليه حُكمٌ.
- إِبطالُ كلِّ طَريقٍ وذَريعةٍ يُتوصَّلُ بها إِلىٰ نَفْعٍ، لم تَطِبْ بها نفْسُ صاحِبِه به.
- خُطبةُ الإِمامِ في الأَمْرِ المُهمِّ، والتشهيرُ بخَطأِ المتأَوِّلِ ليُحذَر.



أَكْلُ الحَلالِ



(قِيلَ لأَبي عَبْدِ اللهِ أَحمدَ بنِ حَنْبَلَ: رَحِمَكَ اللهُ يا أَبا عَبْدِ اللهِ! بِما تَلِينُ القُلوبُ؟ فَنَظَرَ إِلىٰ أَصْحابِهِ؛ فَغَمَزَهُمْ بِعَيْنِهِ، ثُمَّ أَطْرَقَ ساعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فقالَ: **يا بُنَيَّ بِأَكْلِ الحَلالِ**.

فَمَرَرْتُ إِلىٰ عَبْدِ الوَهَّابِ الوَرَّاقِ، فَقُلْتُ: يا أَبا الحَسَنِ! بِما تَلِيْنُ القُلوبُ؟ قالَ: **أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ**.

قُلْتُ: فَإِنِّي جِئْتُ مِنْ عِنْدِ أَبي عَبْدِ اللهِ - فَاحْمَرَّتْ وَجْنَتاهُ مِنَ الفَرَحِ - قَالَ لِي: أَيُّ شَيءٍ قالَ أَبو عَبْدِ اللهِ؟

فَقُلْتُ: **قالَ بِأَكْلِ الحَلالِ**. فَقالَ: **جاءَكَ بِالجَوهَرِ.. جاءَكَ بِالجَوْهَرِ!**)[١].

---

(١) «مناقب الإمام أَحمد بن حنبل»: ص١٩٠. لأَبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، المعروف ابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧ هـ).



٤٨



لا تُطْعِمْنَا إِلا طَيِّبًا



قَالَ التَّابعيُّ الإِمامُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(وَقَفْتُ عَلَىٰ بَزَّازٍ بِمَكَّةَ أَشْتَرِي مِنْهُ ثَوْبًا، فَجَعَلَ يَمْدَحُ وَيَحْلِفُ؛ فَتَرَكْتُهُ.

وَقُلْتُ: لا يَنْبَغِي الشِّرَاءُ مِنْ مِثْلِهِ، وَاشْتَرَيْتُ مِنْ غَيْرِهِ.

ثُمَّ حَجَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ؛ فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَمْدَحُ وَلا يَحْلِفُ!

فَقُلْتُ لَهُ: أَلَسْتَ الرَّجُلَ الَّذِي وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ؟

قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لَهُ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَخْرَجَكَ إِلَىٰ مَا أَرَىٰ؟ مَا أَرَاكَ تَمْدَحُ وَلا تَحْلِف؟!

فَقَالَ: كَانَتْ لِيَ امْرَأَةٌ إِنْ جِئْتُهَا بِقَلِيلٍ نَزَرَتْهُ، وَإِنْ جِئْتُهَا

بِكَثِيرٍ قَلَّلَتْهُ؛ فَنظَرَ اللهُ إِلَيَّ فَأَمَاتَها، فَتَزَوَّجتُ امْرَأَةً بَعْدَها، فَإِذَا أَرَدْتُ الْغُدُوَّ إِلَىٰ السُّوقِ أَخَذتْ بِمَجَامِعِ ثِيَابِي، ثُمَّ قَالَتْ:

يَا فُلانُ! اتَّقِ اللهَ، وَلا تُطْعِمْنَا إِلا طَيِّبًا، إِنْ جِئْتَنَا بِقَلِيلٍ كَثَّرْنَاهُ، وَإِنْ لَمْ تَأْتِنَا بِشَيْءٍ أَعَنَّاكَ بِمِغْزَلِنَا[1])[2].



(١) بمغزلنا: أي: ننسج الصُّوف والقطن، ونصنع الثِّياب ونبيعها، ولا نأْكل حرامًا.

(٢) «المجالسة وجواهر العلم»: ج٥، ص٢٥٢. الرقم (٢٠٩١) لأبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي (ت ٣٣٣ هـ).



خطرُ العُجْبِ بِالنَّفْسِ



عَنْ وهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ[(١)] رَحِمَهُ اللهُ قَالَ:

(بَلَغَنا أَنَّ عِيسَىٰ بنَ مَريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ هُوَ ورَجُلٌ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ مِن حَوارِيِّيهِ بِلِصٍّ في قَلعَةٍ لَهُ؛ فَلَمَّا رَآهُمَا اللِّصُّ أَلْقَى اللهُ في قَلبِهِ التَّوبَة. قالَ: فَقالَ لِنَفسِهِ: هذا عيسَىٰ بنُ مَريَمَ روحُ اللهِ وكَلِمَتُهُ، وهذا حَوارِيُّه، ومَن أَنتَ يا شَقِيُّ؟ لِصُّ بَني إِسْرائِيلَ! قَطَعتَ الطَّريقَ، وأَخَذتَ الأَموالَ، وَسفَكتَ الدِّماءَ! ثُمَّ هَبَطَ إِلَيهِما تائِبًا نادِمًا عَلىٰ ما كانَ مِنُه.

فَلَمَّا لَحِقَهُما، قالَ لِنَفسِهِ: تُريدُ أَنْ تَمشِيَ مَعَهُما؟ لَستَ لِذلِكَ بِأَهلٍ، امشِ خَلفَهُما كَما يَمشِي الخَطَّاءُ المُذنِبُ مِثلُكَ.

(١) وُهَيب بن الورد بن أَبي الورد القرشي؛ العابدُ الرَّبَّانِيُّ، وأَحد رواة الحديث النَّبوي، وهو من تابعي التَّابعين (ت ١٥٣ هـ).

قالَ: فَالتَفَتَ إِلَيهِ الحَوارِيُّ فَعرَفَهُ. فَقالَ في نَفسِهِ: أُنظُرْ إِلىٰ هذَا الخَبيثِ الشَّقِيِّ ومَشيِهِ وَراءَنا!

قال: فَاطَّلَعَ اللهُ سُبحانَهُ وَتَعالىٰ عَلىٰ ما في قُلوبِهِما؛ مِن نَدامَتِهِ وتَوبَتِهِ، مِنِ ازدِراءِ الحَوارِيِّ إِيَّاهُ، وتَفضيلِهِ نَفسَهُ عَلَيهِ.

قالَ: فَأَوحىٰ اللهُ تَعالىٰ إِلىٰ عِيسَىٰ بنِ مَريَمَ أَنْ مُرِ الحَوارِيَّ ولِصَّ بَني إِسْرائِيلَ أَنْ يَأتَنِفا العَمَلَ جَميعًا:

أَمَّا اللِّصُّ فَقَد غَفَرتُ لَهُ ما قَدْ مَضىٰ لِنَدامَتِهِ وتَوبَتِهِ.

وأَمَّا الحَوارِيُّ فَقَد حَبِطَ عَمَلُهُ؛ لِعُجْبِهِ بِنَفسِهِ وَازدِرائِهِ هذَا التَوَّابِ)[1].



(١) «حلية الأُولياء وطبقات الأَصفياء»: ج٨، ص١١١. للحافظ أَبي نعيم أَحمد بن عبد الله الأَصفهاني رحمه الله (ت ٤٣٠ هـ).

٥٠



كَيْفَ يُضَيِّعُنِي



قالَ عَبْدُ الواحِدِ بنُ زيدٍ[١] رَحِمَهُ اللهُ:

(رَكِبْتُ البَحْرَ؛ فَعَصَفَتْ بِنا رِيحٌ دَفَعَتْنا إِلىٰ جَزِيرَةٍ مِنْ جَزائِرِ البَحْرِ، فَطَلَعْنا إِلَيها، وإِذا نَحْنُ بِرَجُلٍ قَدْ عَكَفَ عَلىٰ صَنَمٍ يَعْبُدُهُ! فَقُلْنا لَهُ: ما مَعَنا فِي المَركبِ مَنْ يَعْمَلُ مِثْلَ هذا!

قالَ: فَأَنْتُمْ لِمَنْ تَعْبُدُونَ؟ قُلْنا: نَعْبُدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قالَ: وَمَنْ هُوَ اللهُ؟ قُلْنا: الَّذي فِي السَّماءِ عَرْشُهُ وَفي الأَرْضِ سُلْطانُهُ. قالَ: فَكَيْفَ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ؟

قُلْنا: أَرْسَلَ إِلَينا رَسولًا بِالْمُعْجِزاتِ الظَّاهِرَةِ فَأَخْبَرَنا بِذَلِكَ. قالَ: فما فُعِلَ بِرَسولِكُمْ؟ قُلْنا: لَمَّا أَدَّى الرِّسالَةَ قَبَضَهُ

(١) عبد الواحدُ بن زيد، أَبُو عُبَيْدَةَ البَصْرِيُّ؛ الزَّاهِدُ، القُدْوَةُ، شيخُ العُبَّادِ، وشيخُ الصُّوفية وواعظهم في عصره، هو أَحد تلامذة الحسن البصري (ت ١١٧ هـ).

اللهُ إلَيْهِ. قالَ: أَفَما تَرَكَ عِنْدَكُمْ عَلامَةً؟ قُلْنا: تَرَكَ فِينا كِتابَ اللهِ سبحانه وتعالى. قالَ :أَرونِي إيَّاهُ. فآتَيْناهُ بِالمِصْحَفِ.

قالَ: ما أَحْسَنَ قِرَاءتَهُ؛ فَقَرَأْنا عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَبَكىٰ، وَقالَ: يَنْبَغي لِمَنْ هذا كَلامُهُ أَنْ لا يُعْصَىٰ؛ فَأَسْلَمَ وحَسُنَ إِسْلامُهُ.

قالَ: ثُمَّ سَأَلَنَا أَنْ نَحْمِلَهُ مَعَنا فِي المَرْكَبِ فَحَمَلْناهُ وعَلَّمْناهُ سُورًا منَ القُرْآنِ؛ فلَمَّا جَنَّ عليهِ اللَّيلُ وَأَخَذْنا مَضَاجِعَنا لِنَنَامَ.

قالَ: يا قومُ! هذا الَّذي دَلَلْتُموني عَليهِ يَنامُ؟ قُلْنا: هو حيٌّ قَيُّومٌ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَومٌ. فقالَ: إِنَّ مَنْ سوءِ الأَدَبِ نَومُ العَبْدِ بينَ يَدَي سَيِّدِهِ. ثُمَّ وَثَبَ قائِمًا؛ فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا باكِيًا حَتَّىٰ أَصْبَحَ.

قالَ: فلمَّا قَدِمْنا عبادان[1]. قلتُ لأَصْحابِي: هذا رَجُلٌ غَريبٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالإِسْلامِ، وَمِنَ المَصْلَحَةِ أَنْ نَجْمَعَ لَهُ شَيئًا؛ فَفَعَلوا وَمَدَدْناهُ إِلَيهِ.

---

(١) (عبادان): مدينة تقع في محافظة خوزستان، جنوب غرب إيران علىٰ جزيرة عبدان ضفاف نهر شط العرب.

فقالَ: ما هذا؟ قُلْنا لَهُ: نَفَقَةٌ نُنْفِقُها عَلَيك. فقالَ:

سُبْحانَ اللهِ! دَلَلْتُموني عَلىٰ طَرِيقٍ لَمْ تَعْرِفوهُ، أَنا كُنْتُ فِي جَزِيرَةٍ مِن جَزائِرِ البِحْرِ أَعْبُدُ غَيرَهُ ولَمْ يُضيِّعَني؛ فَكَيفَ يُضَيِّعُني وأَنا أَعْبُدُهُ، وَهُوَ الخالِقُ الرَّازِقُ!

ثُمَّ مَضىٰ وَتَرَكَنا.

قالَ: فَلمَّا كانَ بَعْدَ أَيَّامٍ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ بِمَوْضِعٍ يُعالِجُ سَكَرَاتِ المَوْتِ. فَأَتَيْناهُ وَهوَ بِآخِرِ رَمَقٍ فَسَلَّمتُ عليهِ، وقُلْتُ: أَلَكَ حاجَةٌ؟ فقالَ لِي: قَدْ مَضىٰ حَاجَتي الَّذي جاءَ بِكُمْ إِلىٰ الجَزِيرَةِ وَأَنا لا أَعْرِفُهُ.

قالَ: فَاسْتَنَدْتُ بِإِزائِهِ وَقَصَدْتُ مُؤانَسَتَهَ ساعَةً؛ فَغَلَبَتْني عَيْني فَنِمْتُ؛ فَرَأَيْتُ في مقابِرِ عبادان رَوْضَةً عَليها قُبَّةٌ، وَتَحْتَ القُبَّةِ سَريرٌ، وعَلى السَّريرِ جارِيَةٌ لَمْ أَرَ أَجْمَلَ مِنْها، وَهِيَ تَقولُ باللهِ عَجِّلْ في جَهازِهِ؛ فقدْ طالَ شَوقي إِليهِ.

فانتَبهْتُ! فَوَجدْتُهُ قد ماتَ؛ فُغسَّلتُهُ وَكَفَّنْتُهُ.

فَلَمَّا كانَ اللَّيلُ نِمتُ؛ فَرَأَيتُهُ وَهُوَ في هَيئَةٍ حَسَنَةٍ وَالجارِيَةُ وعَلى السَّريرِ تَحتَ القُبَّة، وَهُوَ إِلىٰ جانِبِها يُكَرِّرُ هَذِهِ الآيَةَ:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤].

مَصابيحُ القُلُوبِ الطَّاهِرَةِ في أَصْلِ الفِطْرَةِ مُنيرَةٌ قَبْلَ الشَّرائِعِ:

﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [النور: ٣٥](١).



(١) «المواعظ والمجالس»: ص٤١-٤٢. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي المعروف ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

٥١



لَوْ كَذَبَ أَحدٌ على النَّبيِّ ﷺ لَقَتَلوهُ



قالَ المؤرخ تقي الدِّين أَحمد المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يترجم عن أَحمدَ بن عبد الله الرُّومي صارو[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قالَ لِي مرَّة عن الأَمير شيخ الصَّفوي[2]، أَنَّهُ قالَ لَهُ:

ذَكَرَ لي السُّلْطانُ المَلِكُ الظَّاهِرُ بَرْقوق، عَنْ رَجُلٍ مِنَ العَجَمِ الَّذِينَ كانوا في زَمَنِهِ، وَسَمَّاهُ لِي؛ أَنَّهُ قالَ لَهُ: لا تَلْتَفِتْ إِلىٰ ما في «البُخاريِّ» و«مُسْلمٍ» فإِنَّ أَكْثَرَ ما فيها كَذِبٌ.

قالَ السُّلْطانُ: فقُلْتُ لَهُ: **يا شيخُ كانَ البُخارِيُّ ومُسْلِمٌ في زَمانٍ لَو كَذَبَ أَحَدٌ عَلى النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَقَتَلوهُ**)[3].

---

(١) (صارو): أَي: الأَشقر.

(٢) أَمير مجلس في الأَيام الظَّاهرية برقوق

(٣) «درر العقود الفريدة في تراجم الأَعيان المفيدة»: ج ١، ص٢٤٨. لتقي الدِّين أَحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ٨٤٥).

٥٢



الوزير نظام الملك في الخلافة السلجوقية

قالَ ابنُ اثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن الوزير المصلح «نظَام المُلْك»:

(الوَزِيْر الكَبِيْر، نِظَام المُلْك، قِوَامُ الدِّين، أَبُو علي الحسن بن علي ابن إِسْحَاقَ الطُّوْسِيُّ، عَاقِلٌ، سَائِسٌ، خَبِيرٌ، سَعِيْدٌ، مُتَدَيِّنٌ، مُحتَشِمٌ، عَامِرُ المَجْلِس بِالقُرَّاء وَالفُقَهَاء.

أَنشَأَ المدرسَة الكُبْرَىٰ بِبَغْدَادَ[١] وَأُخْرَىٰ بِنَيْسَابُوْرَ، وَأُخْرَىٰ بِطُوْسَ[٢]، وَرغَّب فِي العِلْمِ[٣]، وَأَدرَّ عَلَىٰ الطلبَة الصِّلاَت، وَأملَىٰ الحديث، وبَعُدَ صيته.

وَكَانَ أَبُوْهُ مِنْ دَهَاقين[٤] بَيْهَقَ، فَنشَأَ وَقرَأَ نَحوًا، وَتعَانَى

(١) وهي المشهورة بـ «المدرسة النظامية».

(٢) ناحية كبيرة من نواحي «نيسابور» وتشتمل علىٰ ثلاث مئة واحدىٰ وعشرين قرية.

(٣) له دور كبير في خدمة الشريعة الإسلامية.

(٤) يعمل بالتجارة.

الكِتَابَة وَالدِّيْوَان، وَخدم بِغَزْنَةَ[(١)]، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الأَحْوَالُ إِلَىٰ أَنْ وَزَرَ لِلسُّلْطَانِ «أَلب آرسلاَن»[(٢)]، ثُمَّ لابْنِهِ «مَلِكْشَاه»[(٣)].

فَدبَّر مَمَالِكَه عَلَىٰ أَتمِّ مَا يَنْبَغِي[(٤)]، وَخفف المظَالِمَ، وَرَفَقَ بِالرعَايَا، وَبَنَى الوُقُوْفَ، وَهَاجرت الكِبَارُ إِلَىٰ جَنَابه، وَازدَادت رفعتُهُ، وَاسْتمرَّ عِشْرِيْنَ سَنَةً...

وَكَانَ فِيْهِ خَيْرٌ وَتَقْوَىٰ، وَمَيْلٌ إِلَى الصَّالِحِيْنَ، وَخُضوعٌ لِمَوعِظَتهم، يُعْجِبُهُ مَنْ يُبَيِّنُ لَهُ عيوبَ نَفْسه، فَيَنكسِرُ وَيَبْكِي.

مَوْلِدُهُ[(٥)] فِي سَنَةِ: ثَمَانٍ وَأَرْبَع مائَة[(٦)].

---

(١) كان يعمل في الخدمة لدىٰ الأُمراء.

(٢) بقي في وزارته؛ عشر سنين.

(٣) بقي في وزارته؛ عشرين سنة.

(٤) وألف كتاب «سياست نامه» في الآراء والنظريات الإدارية التي تعتبر أساسًا لنظام الحكم وإدارة الدول والممالك.

(٥) فقد ماتت أُمه وهو رضيع.

(٦) في «نوقان» إحدىٰ قُرىٰ «طوس».

وَقُتِلَ صَائِمًا فِي رَمَضَانَ، أَتَاهُ باطنِي[1] فِي هيئَة صُوْفِي يُنَاوله قِصَّة، فَأَخَذَهَا مِنْهُ؛ فَضَرَبَه بِالسِّكينِ فِي فُؤَاده، فَتَلِفَ.

وَقَتلُوا قَاتِلَه، وَذَلِكَ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ، بِقُرْبِ «نُهَاوَنْدَ». وَكَانَ آخِرُ قَوْلِهِ:

لاَ تَقتلُوا قَاتِلِي، قَدْ عَفْوتُ «لاَ إِلَهَ إِلَّا الله»...

قَالَ ابْنُ عَقِيْلٍ: بَهَرَ العُقُوْلَ سيرَةُ النِّظَام جُوْدًا وَكَرَمًا وَعدلًا، وَإِحيَاءً لِمعَالِم الدِّين، كَانَتْ أَيَّامُهُ دَوْلَةَ أَهْل العِلْمِ...)[2].

(١) كان نظام الملك له دور كبير في محاربة المد الشيعي الباطني، أو الحشاشين؛ بقيادة «حسن الصبَّاح» والذي كان يمثل خطرًا داهمًا على الأُمة الإسلامية والمشروع السني.

(٢) «سير اعلام النبلاء»: ج١٤، ص١٤٤. للإمام شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي التركماني (ت ٧٤٨ هـ).

٥٣



إِنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ



(عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ نُبَايِعُهُ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ! نُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ نَسْرِقَ، وَلاَ نَزْنِي، وَلاَ نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلاَ نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ.

قَالَ «**فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ**». قَالَتْ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا. هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ**[1]**، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ مِثْلِ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ**[2]»)[3].

---

(١) أي: لا أَمَسُّ أَيديَهنَّ.

(٢) بيانٌ مِنه أَنَّ القولَ والمشافَهةَ للنِّساءِ في البيعَةِ كافيةٌ.

(٣) رواه النسائي: (١٤٩٢).

٥٤



صَدقَكَ، وهو كَذُوبٌ



(عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ. فأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأَخَذْتُهُ وقُلتُ:

واللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، ولِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عنْه، فأَصْبَحْتُ.

فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «يا أَبَا هُرَيْرَةَ! ما فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟».

قَالَ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

قَالَ: «أَمَا إنَّهُ قدْ كَذَبَكَ، وسَيَعُودُ».

فَعَرَفْتُ أنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إنَّه سَيَعُودُ».

فَرَصَدْتُهُ؛ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأَخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

قَالَ: دَعْنِي؛ فإِنِّي مُحْتَاجٌ، وعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟».

قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قدْ كَذَبَكَ وسَيَعُودُ».

فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ؛ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فأَخَذْتُهُ، فَقُلتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ، وهذا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ. قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بهَا.

قُلتُ: ما هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ؛ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. حتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ؛ فإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبَنَّكَ شَيطَانٌ حتَّىٰ تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟».

قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ! زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «مَا هِيَ؟» قُلتُ: قَالَ لِي:

إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِن أَوَّلِهَا حتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبَكَ شيطَانٌ حتَّىٰ تُصْبِحَ[(١)].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قدْ صَدَقَكَ، وهو كَذُوبٌ! تَعْلَمُ مَن تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يا أَبَا هُرَيْرَةَ؟».

قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَاكَ شَيطانٌ»)[(٢)].



(١) وكانوا رضي الله عنهم أَحرصَ النَّاس على الخير.

(٢) رواه البخاري: (٢٣١١).

٥٥



ذْرُونِي فِي البَحْرِ



(عَنْ أَبي سَعيدٍ الْخُدْريِّ ﷺ: عَنِ النَّبيِّ ﷺ:

أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَن سَلَفَ، أَوْ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، قالَ: كَلِمَةً يَعْنِي[١]:

«أَعْطاهُ اللهُ مالًا وَوَلَدًا؛ فَلَمَّا حَضَرَتِ الوَفاةُ، قالَ لِبَنِيهِ:

أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قالوا: خَيْرَ أَبٍ. قالَ: فإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ، أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا[٢]، وإِنْ يَقْدِرِ اللهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ؛ فانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فأَحْرِقُونِي، حَتَّىٰ إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ:

---

(١) أَي: معنىٰ كلمة.

(٢) أَي: لم يعمل صالحًا يُدخلُه الله الجنَّةَ ما عدا التَّوحيدِ، وأَنَّه إِذا رجعَ إِلى ربِّه فإِنَّه يُعذِّبُه بما فعل. وليس المرادُ نَفْيَ كلِّ خيرٍ على العمومِ، بل نفيَ ما عدا التَّوحيدِ ولذلك غُفِرَ له.

فاسْحَكُونِي - فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ؛ فَأَذْرُونِي فِيهَا[1]».

فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**فَأَخَذَ مَواثِيقَهُمْ علَىٰ ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَومٍ عاصِفٍ. فَقَالَ اللهُ ﷻ: كُنْ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قائِمٌ. قَالَ اللهُ: أَيْ عَبْدِي ما حَمَلَكَ علَىٰ أَنْ فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخافَتُكَ. أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ[2]. قَالَ: فَمَا تَلافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَها[3]**». وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَىٰ: فَمَا تَلافاهُ غَيْرُها.

فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبا عُثْمانَ، فقالَ: سَمِعْتُ هذا مِن سَلْمانَ غَيرَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ: أَذْرُونِي فِي البَحْرِ. أَوْ كما حَدَّثَ[4].

---

(١) أَي: طلبَ منهم أَن يُحرِّقُوه بعدَ موتِه ثُمَّ يَسحَقُوه بعد أَن يصيرَ فحمًا فيجعلوه كالرَّمادِ، ثُمَّ ينتظِروا يومًا تكونُ فيه الرِّيحُ شديدةً فيُلقوه فيها، فيصيرَ رمادُه مع الرِّيحِ، أَو قال لهم: أَن يضعوا هذا الرَّمادَ في البحر.

(٢) أَي: جعلَ الخوفُ هذا الرَّجلَ يفقِدُ رُشدَه ويظنُّ أَنَّه تعالىٰ غيرُ قادرٍ علىٰ جمعِه مرَّةً أُخرىٰ؛ ولذلك لمَّا جمعَه اللهُ تعالىٰ وقال له: كُن، فإذا هو رجلٌ قائمٌ مرَّةً أُخرىٰ بقُدرتِه سُبحانه وتعالىٰ فسألَه عن الذي حملَه علىٰ فعل ذلك. فقال الرَّجلُ: مخافةً منكَ، وهو الخوفُ.

(٣) أَي: فتدارَكَتْه رحمةُ ربِّه عند قولِه ذلك.

(٤) رواه البخاري: (٥٧٠٨).

٥٦



هادٍ يَهْدِيني



(عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: لمَّا هاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَركَبُ وأَبو بكْرٍ رَديفُهُ، وكانَ أَبو بكْرٍ يَعرِفُ في الطَّريقِ لاخْتِلافِهِ إلى الشَّامِ، وكان يَمُرُّ بالقَوْمِ فيَقولونَ: مَنْ هَذا بَيْنَ يَدَيْكَ يا أَبا بكْرٍ؟ فيقولُ: هادٍ يَهْدِيني.

فلمَّا دَنَوْا مِنَ المَدينَةِ بعَثا إِلَى القَومِ الَّذينَ أَسْلَمُوا مِنَ الأَنْصارِ إِلىٰ أَبي أُمَامَةَ وأَصْحابِهِ؛ فَخَرَجوا إِليهِما، فَقَالوا: ادْخُلا آمِنَيْنِ مُطاعَيْنِ؛ فَدَخَلا. قال أَنَسٌ: **فما رأَيْتُ يومًا قَطُّ أَنورَ ولا أَحسَنَ من يومِ دخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وأَبو بكْرٍ المَدِينَةَ، وشَهِدْتُ وَفاتَه ﷺ فَمَا رَأَيْتُ يَومًا قَطُّ أَظلَمَ، وَلَا أَقبَحَ مِنَ اليَومِ الَّذي تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فيهِ)**[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند»: (١٢٢٣٤).

٥٧



حِفْظَت القُرآنِ في ستة أَشهر



(حدَّثَني؛ أَبو عَبدِ اللهِ بنُ هارونَ التُّسْتُرِيُّ المُقْرِئُ رَحِمَهُ اللهُ - وَكانَ أَقامَ بِمَسْجِدِنا بِالبَصْرَةِ - قالَ:

أَقَمْتُ أَحْفَظُ القرآنَ سِنينَ كَثيرَةً، كُلَّما بَلَغْتُ إِلىٰ مَوْضِعٍ أُنْسيتُ الَّذي قَبْلَهُ؛ حتَّىٰ كأَنِّي ما سَمِعْتُهُ قطُّ!

فَشَقَّ ذلِكَ عَليَّ؛ فَحَجَجْتُ، وَتَعَلَّقْتُ بِأَسْتارِ الكَعْبَة؛ وَدَعَوْتُ اللهَ تَعالىٰ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُعينَني عَلىٰ حِفْظِهِ.

وَرَجَعْتُ إِلَىٰ البَصْرَةِ؛ فَلَزِمْتُ التَّلْقِينَ..

فَحَفِظْتُ القُرآنَ في سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلىٰ حَرْفِ أَبي عمرو[١].

---

(١) أَي: علىٰ قراءَةِ أَبي عمرو بن العلاء البصري رحمه الله وهي من القراءات العشر المتواترة التي بها نتعبد الله، ونصل إِلىٰ مرضاته تعالىٰ.

ثُمَّ تَعاطَيْتُ السَّبْعَةَ[1] فَما حالَ الحَوْلُ عَلَيَّ؛ إِلَّا وَقَدْ أَحْكَمْتُ أَكْثَرَها)[2].

وقالَ الصَّحابيُّ الجَليل عبدَ اللهِ بنَ مَسْعودٍ رضي الله عنه:

(إِنَّا صَعُبَ عَلَيْنا حِفْظُ أَلفاظِ القُرآنِ، وَسَهُلَ عَلَيْنَا العَمَلُ بِهِ، وإِنَّ مَنْ بَعْدَنا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ القُرآنِ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِمْ العَمَلُ بِهِ)[3].

وقالَ رضي الله عنه: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ حَقَّ تلاوته أَنْ يُحِلَّ حَلَالَهُ، ويُحَرِمَ حَرَامَهُ، ويَقْرَأَهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ)**[4].

---

(١) أَي: القراءات السَّبْع.

(٢) «نشوار المحاضرة وأَخبار المذاكرة»: ص٣٣٦ . للقاضي أَبي علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي البصري رحمه الله (ت ٣٨٤ هـ).

(٣) «الجامع لأَحكام القرآن» لأَبي عبد الله محمد بن أَحمد الأَنصاري القرطبي رحمه الله (ت ٦٧١ هـ).

(٤) «تفسير الطبري»: ج٢، ص٧٦٥. للإِمام المفسرين أَبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله (ت ٣١٠ هـ).

٥٨



أَرَدْتُ لِنَفْسِي خَيرًا مِنْ دونِ النَّاسِ



قالَ الإمام الزَّهد أبو الحَسَنِ السَرِيُّ السَّقَطِي[١] رَحِمَهُ اللهُ:

(مُنْذُ ثَلاثينَ سَنَة؛ أَنَا في الاسْتِغْفارِ مِنْ قَوْلي مَرَّةً: الحَمْدُ للهِ! قِيلَ لَهُ: وكَيفَ ذَلِكَ؟! قالَ: وَقَعَ بِبَغْدادَ حَريقٌ؛ فَاسْتَقْبَلَني واحِدٌ. وقَالَ: نَجَا حانُوتُكَ. فَقُلتُ: الحَمدُ للهِ.

فَأَنا نادِمٌ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ؛ **حَيثُ أَرَدْتُ لِنَفْسي خَيرًا مِنْ دونِ النَّاسِ**)[٢].

---

(١) العارف بالله أَبو الحسن السَرِيُّ بنُ المُغَلَّسِ السَّقَطِي رَحِمَهُ اللهُ هو الإمام الهمام المعروف بطبيب الغذاء وتصفية القلوب، كان وحيدَ زمانه، وفريدَ دهره في الورع وأَحوال السُّنَّة وعلوم التوحيد في القرن الثالث الهجري. وهو تلميذ معروف الكرخي، وخال الجنيد البغدادي وأُستاذه رَحِمَهُمُ اللهُ (ت ٢٥٣ هـ).

(٢) «كتاب الوافي بالوفيات»: ص ٨٥. لصلاح الدِّين خليل بن ايبك الصَّفدي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٦٤ هـ).

٥٩



مُلْكًا لَا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ



* مَنْ كَانَ هَمُّهُ طَلَبَ مَحَبَّةِ اللهِ ﷻ أَعْطَاهُ اللهُ فَوْقَ مَا يُرِيدُهُ مِنَ الدُّنْيَا تَبَعًا..

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَمَّا تُوُفِّيَ دَاوُدُ عليه السلام أَرْسَلَ اللهُ ﷻ إِلىٰ سُلَيْمانَ عليه السلام أَلَكَ حَاجَةٌ تَسْأَلُني إِيَّاها؟ فقالَ سُليمانُ:

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يُحِبُّهُ؛ كَمَا كَانَ قَلبُ أَبي دَاودَ يُحِبَّهَ. وأَنْ يَجعلَ قَلْبِي يَخْشاهُ؛ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبي دَاودَ يَخْشاهُ. فَشَكَرَ اللهُ لهُ ذلكَ وأَعْطاهُ مُلْكًا لا يَنْبَغي لِأَحَدٍ مِنْ بَعدِهِ)[١].



(١) «تفسير ابن رجب الحنبلي»: ص ٢١٢-٢١٣. للإمام الحافظ العلامة أَبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أَحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب رحمه الله (ت ٧٩٥ هـ).

٦٠



أَيَسُرُّكَ أنْ تَموتَ



عَنْ مُجالِدٍ عنِ الشَّعْبيِّ[(١)] قالَ:

(دَخَلَ سُلَيمانُ بنُ عَبدِ المَلِكِ بَيتَ المَقْدِسِ؛ فَرأَىٰ شَيخًا كَبيرًا. فَقالَ لَهُ: يا شيخُ! أَيَسُرُّكَ أَنْ تَموتَ؟

قالَ: لا وَاللهِ! قالَ: ولِمَ؟ قالَ:

ذَهَبَ الشَّبابُ وَشَرُّهُ، وَجاءَ الكِبَرُ وَخَيْرُهُ؛ فإِنْ قُمْتُ حَمَدْتُ اللهَ، وإِنْ قَعَدْتُ ذَكَرْتُ اللهَ.. فَأُحِبُّ أَنْ تَدُومَ لِي هَاتَانِ الْحَالَتَانِ)[(٢)].

---

(١) التَّابعيُّ الفقيه، ومحدِّث السَّلف؛ أَبو عمرو عامر بن شراحيل الهمداني الشَّعبي، المشهور بالإِمام الشَّعبي رحمه الله (ت ١٠٠ هـ).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق»: ج ٦٨، ص ١٧٤. للإِمام الحافظ أَبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشَّافعي، المعروف بابن عساكر رحمه الله (ت٥٧١ هـ).

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا شَابَ رَجُلٌ فِي الإِسْلَامِ شَيْبَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ**»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا، قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ ﷺ:

«**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**» قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ**»[(٢)(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) أَخرجه أَحمد في «المسند»: (٢٦٩٦) وصححه العلامة أَحمد شاكر رحمه الله.

(٢) رواه الترمذي: (٢٣٣٠).

(٣) حُسنُ العمل مع طولِ العمرِ مِن الأُمورِ الَّتي يُغْبَطُ عليها صاحِبُها، بعَكسِ سُوءِ العمَلِ مع طُولِ العمرِ؛ فهي ممَّا يُستَعاذُ منه؛ وفي الحديثِ: الحثُّ علىٰ التَّزوُّدِ مِن الطَّاعاتِ كلَّما زاد العُمرُ، وأَنَّ الزِّيادةَ في عُمرِ المُحسِنِ علامةُ خيرٍ يدُلُّ علىٰ سَعادةِ الدَّارَين. والزِّيادةَ في عُمرِ المسيءِ علامةُ شرٍّ؛ لأَنَّه يَخسَرُ ويُغبَنُ مِن زيادةِ عُمرِه؛ فكلَّما زاد عُمرُه زادَتْ سيِّئاتُه بِسُوءِ عمَلِه، وهذا يدُلُّ على التَّعاسةِ في الدَّارَين.

٦١



من كراماتِ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ



* عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ. قَالَ: **فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا؛ فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا. فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا، وَعَصَا هَذَا)**[١].

* عندما أُسِرَ خُبَيْبُ بن عديٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند المشركين:

(كَانَ خُبَيْبٌ قد قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ؛ فَلَبِثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا. فقال عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ: قالت بِنْتَ الحَارِثِ: **وَاللهِ! مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ! لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ.**

(١) رواه البخاري: (٣٨٠٥).

وَكَانَتْ تَقُولُ: **إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا**)[1].

* (عَنْ هِشَام بْن عُرْوَةَ قال: أَخْبَرَنِي أَبِي، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبِئْرِ مَعُونَةَ، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: مَنْ هَذَا؟ فَأَشَارَ إِلَىٰ قَتِيلٍ. فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ. فَقَالَ: **لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ؛ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ، ثُمَّ وُضِعَ**)[2].

* (عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَىٰ قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّىٰ مَا يَرَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ،

(١) رواه البخاري: (٣٠٤٥).

(٢) رواه البخاري: (٤٠٩٣).

وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّىٰ لاَ أَرَاهَا!. قَالَ: «**وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ:

«**تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ**»)[1].

* (عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَىٰ بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَىٰ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا؛ فَخَاصَمَتْهُ إِلَىٰ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ. فَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا.

فَقَالَ: **اللهُمَّ! إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي**

---

(١) رواه البخاري: (٥٠١٨).

أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ؛ حَتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ)[١].

* (عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَعَزَلَهُ. وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا؛ فَشَكَوْا حَتَّىٰ ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ:

أَمَّا أَنَا وَاللهِ! فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ. قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ.

فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ؛ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا؛ حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ؛ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكْنَىٰ أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ!

---

(١) رواه مسلم: (١٦١٠).

قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ! لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ[1] يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ! قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ)[2].

* (أَبْلَىٰ عُكَّاشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْم بَدْرٍ بَلَاءً حَسَنًا، وَانْكَسَرَ سَيْفُهُ فِي يَدِهِ؛ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرْجُوْنًا مِنْ نَخلٍ، أَوْ عُوْدًا، فَعَادَ بِإِذْنِ اللهِ فِي يَدِهِ سَيْفًا؛ فَقَاتَلَ بِهِ وَشَهِدَ بِهِ المَشَاهِدَ)[3].

* (عن عثمان بن القاسم، قال: لما هاجرت أُم أَيمن رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَمست بالمنصرف دون الرَّوحاء؛ فعطشت وليس معها ماء، وهي صائمة، فجهدها العطش، فدلي عليها من السَّماء دلو من ماء، برشاء أَبيض، فأَخذته فشربت منه حتَّىٰ رويت،

(١) يعني هذا الرَّجل. أَي الذي دعا عليه سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) رواه البخاري: (٧٥٥).
(٣) «سير أعلام النبلاء»: ج٣، ص١٨٩.

فكانت تقول: ما أَصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، وإِن كنت لأَصوم في اليوم الحار فما أَعطش)[1].

* (عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: شَهِدْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رضي الله عنه بِالْحِيرَةِ أُتِيَ بِسُمٍّ. فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: سُمُّ سَاعَةٍ! قَالَ: بِسْمِ اللهِ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ - أَيِ: ابتلعه - ولم يصبه سوء)[2][3].

---

(١) «سير أَعلام النبلاء»: ج٢، ص٤٢٢. و«الطبقات» لابن سعد: ج٨، ص٤٢٢.

(٢) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة»: ج٦، ص٨٩٤. للالكائي. و«البداية والنهاية»: ج٦، ص٢٨٣. لابن كثير.

(٣) هناك فرق بين المعجزة والكرامة: فالمعجزة: هي الأَمر الخارق للعادة؛ ممَّا يجريه الله علىٰ يد نبيٍّ يتحدىٰ بها تصديقًا له، ويعجز عنه البشر؛ كالنَّاقة لصالح، واليد والعصا لموسىٰ عليه السلام ومعجزات النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.
والكرامة: هي الأَمر الخارق للعادة؛ ممَّا يجريه الله علىٰ يد عبد صالح من غير إِرادته إِكرامًا له، كما في قصة مريم، وأَصحاب الكهف. والكرامة هذه الأُمَّة هي معجزة للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم الذي يتبعه هذا العبد الصالح؛ لأَنَّه لم يحصل عليها إِلَّا بصدق اتِّباعه له، ولا يثبت أَنها كرامة إِلَّا إِذا كان من جرت علىٰ يده معروفًا بالاستقامة علىٰ الشَّرع الله تعالىٰ؛ فما حدث لبعض الصَّحابة رضي الله عنهم وغيرهم من صالحي هذه الأُمَّة من خوارق العادات، فهو من قبيل الكرامات، لا المعجزات.

٦٢



الدَّاءُ، الدَّواءُ، الشِّفاءُ



(رَوىٰ عبدُ المَلِكِ بنُ الأَصْبَهانيِّ، عمَّنْ حَدَّثَهُ عنِ الرَّبيعِ بنِ خَثْيَمَ[١]، أَنَّهُ قالَ لأَصْحابِهِ:

تَدْرونَ ما الدَّاء، والدَّواءُ، والشِّفاءَ؟ قالوا: لا. قالَ:

*** الدَّاءُ: الذُّنوب.**

*** والدَّواءُ: الاسْتِغْفارُ.**

*** والشِّفاءُ: أَنْ تَتوبَ فَلا تَعودَ)[٢].**

---

(١) التَّابعي الإِمام القدوة العابد أَبو يزيد الرَّبيع بن خيثم الثوري الكوفي، أَدرك زمان النبي ﷺ ولكنه لم يلتقيه، وهو من كبار تلاميذ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بعد انتقاله إِلى الكوفة (ت ٥٦ هـ).

(٢) «صفة الصفوة»: ج٢، ص٣٩. لأَبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧ هـ).

٦٣



فسوف يأتي الله بخير



قالَ الإِمَامُ اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ القَلْقَشَنْدَي رحمه الله (ت ١٧٥ هـ):

(كَانَ ابْنُ شِهَابٍ[١] مِنْ أَسْخَىٰ مَنْ رَأَيْتُ، يُعْطِي كُلَّ مَنْ جَاءَ يَسْأَلُهُ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ يَسْتَسْلِفُ مِنْ عَبيدِهِ، فيقولُ لأَحَدِهِمْ: يا فلانُ! أَسْلِفْني كَما تَعرِفُ، وأُضْعِفُ لَكَ كَما تَعْلَمُ. فَيُسْلِفُونَهُ. ولا يرىٰ بِذَلِكَ بأسًا. قالَ: ورُبَّما جاءَهُ السَّائِلُ؛ فَلا يَجِدُ ما يُعطِيهِ، فَيَتَغَيَّرُ عِندَ ذَلِكَ وَجْهُهُ..

ويقولُ للْسَّائِلِ: أَبْشِرْ؛ فَسَوفَ يَأْتي اللهُ بِخَيرٍ)[٢].

---

(١) التَّابعي الجليل الإمام الفقيه حافظ زمانه؛ أَبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي الزُّهري المدني نزيل الشَّام؛ رحمه الله (ت ١٢٤ هـ).

(٢) «تاريخ مدينة دمشق»: ج٥٥، ص٣٤٢. للإمام الحافظ أَبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشَّافعي، المعروف بابن عساكر رحمه الله (ت٥٧١ هـ).

٦٤



بَارَكَ اللَّهُ لَكُما



(عنْ أَنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه:

مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ، مِن أُمِّ سُلَيْمٍ. فَقالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابْنِهِ؛ حتَّىٰ أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ.

قالَ: فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً، فأَكَلَ وَشَرِبَ.

فَقالَ: ثُمَّ تَصَنَّعَتْ له أَحْسَنَ ما كانَ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذلكَ، فَوَقَعَ بهَا؛ فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قدْ شَبِعَ وَأَصَابَ منها.

قالَتْ: يا أَبَا طَلْحَةَ! أَرَأَيْتَ لو أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قالَ: لَا.

قالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ. قالَ: فَغَضِبَ، وَقالَ: تَرَكْتِنِي حتَّىٰ تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بابْنِي!

فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**بَارَكَ اللهُ لَكُما في غَابِرِ لَيْلَتِكُما**» قالَ: فَحَمَلَتْ[1])[2].

وفي روايةٍ: («**لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُما في لَيْلَتِكُما**».

قالَ سُفْيَانُ بن عيينة: فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لهما تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قدْ قَرَأَ القُرْآنَ)[3][4].

---

(١) أَي: أُمُّ سُليمٍ رضي الله عنها من تلكَ الَّليلةِ.

(٢) رواه مسلم: (٢١٤٤).

(٣) رواه البخاري: (١٢٣٩).

(٤) الحزنُ على المُصابِ غَريزةٌ طبيعيَّةٌ، ولكنَّ المؤمنَ الصَّادِقَ يَستطيعُ أَن يَتغلَّبَ عليه بالتحلِّي بالصَّبرِ، والرِّضا بقَضاءِ الله وقدَرِه والتَّسليمِ لأَمْرِه. وفي الحديثِ: **فضلُ أُمِّ سُلَيم** رضي الله عنها واتِّصافُها بالصَّبرِ على البلاءِ، والرِّضا بالقضاءِ، والتَّسليمِ لأَمرِ الله في الضَّرَّاءِ. وفيه: **فضلُ الصَّبرِ**، وعاقبتُه الحميدةُ، والتَّعويضُ العاجلُ لكلِّ مَن صبَرَ عندَ الصَّدمةِ الأُولىٰ. وفيه: **الأخذُ بالشِّدَّةِ وترْكُ الرُّخصةِ** لِمَن قدَر عليها، وأَنَّ ذلك ممَّا يَنالُ به العبدُ رفيعَ الدَّرَجاتِ، وجزيلَ الأَجرِ. وفيه: **ذِكرُ المعاريضِ الموهِمةِ** إذا دعَتِ الضَّرورةُ إِليها، بشَرْطِ أَلَّا تُبطِلَ حقًّا لمُسلِمٍ.

٦٥



سَتَرَكَ اللَّهُ كَمَا سَتَرْتَنِي



(قالَ ابنُ حيَّان سَمِعْتُ أَبا عَلِيٍّ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَهْدِيٍّ[1]:

جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ بِبَغْدَادَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَذَكَرَتْ أَنَّهَا مِنْ بَنَاتِ النَّاسِ، وَأَنَّهَا امْتُحِنَتْ بِمِحْنَةٍ، وَقَالَتْ:

أَسْأَلُكَ بِاللهِ أَنْ تَسْتُرَنِي!

فَقُلْتُ: وَمَا مِحْنَتُكِ؟ قَالَتْ: أُكْرِهْتُ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَنَا حُبْلَىٰ، وَذَكَرْتُ لِلنَّاسِ أَنَّكَ زَوْجِي، وَأَنَّ مَا بِي مِنَ الْحَبلِ مِنْكَ؛ فَلَا تَفْضَحْنِي، اسْتُرْنِي سَتَرَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ!

فَسَكَتُّ عَنْهَا وَمَضَتْ، فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّىٰ وَضَعَتْ، وَجَاءَ إِمَامُ

---

(١) الإمام القدوة العابد الحافظ المتقن، أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم الأصبهاني رحمه الله (ت ٢٧٢ هـ).



الْمَحِلَّةِ فِي جَمَاعَةٍ من الْجِيرَانِ يُهَنِّئُونِي بِالْوَلَدِ؛ فَأَظْهَرْتُ لهم التَّهَلُّلَ وَوَزَنْتُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي دِينَارَيْنِ، وَدَفَعْتُهُمَا إِلَىٰ الإِمَامِ.

فَقُلْتُ: أَدفع هَذَا إِلَىٰ تِلْكَ الْمَرْأَةِ لِتُنْفِقَهَ عَلَىٰ الْمَوْلُودِ؛ فَإِنَّهُ سَبَقَ مَا فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وكُنْتُ أَدْفَعُ فِي كُلِّ شَهْرٍ إِليها دِينَارَيْنِ علىٰ يَدِ الإِمَامِ، وَأَقُولُ: هَذه نَفَقَةُ الْمَوْلُودِ إِلَىٰ أَنْ أَتَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ سنتَانِ، ثُمَّ تُوُفِّيَ الْمَوْلُودُ؛ فَجَاءَنِي النَّاسُ يُعَزُّونَنِي، فَكُنْتُ أُظْهِرُ لَهُمُ التَّسْلِيمَ وَالرِّضَا.

فَجَاءَتْنِي الْمَرْأَةُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي بعد شهرٍ، ومَعَها تِلْكَ الدَّنَانِيرُ الَّتِي كُنْتُ أَبْعَثُ لَهَا بِيَدِ الإِمَامِ؛ فَرَدَّتْهَا، وَقَالَتْ:

سَتَرَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا سَتَرْتَنِي.

فَقُلْتُ: هَذِهِ الدَّنَانِيرُ كَانَتْ صِلَةً مِنِّي لِلْمَوْلُودِ، وَهِيَ لَكِ فَاعْمَلِي فيهَا مَا تُرِيدِينَ)[1].

---

(١) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: ج٢١، ص٣١٧. لأَبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).

٦٦

ما كُنْتُ لأُطيْعَهُ في المَلأِ وَأَعْصِيَهُ في الخَلاء

(عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَسْلَمَ، قالَ: بَينَما أَنا مَعَ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ وَهُو يَعُسُّ المَدِيْنَةَ إِذْ عَيِيَ، فَاتَّكَأَ إِلىٰ جَانِبِ جِدارٍ في جَوْفِ اللَّيلِ، فإِذا امْرَأَةٌ تَقولُ لابْنَتِها: يا ابْنَتَاه! قُومي إِلَىٰ ذَلِكَ اللَّبَنِ فَامْذُقِيهِ بالماءِ. فَقَالَتْ لَها: يَا أُمَّاهُ! أَوَما عَلِمْتِ ما كَانَ مِنْ عَزْمَةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ اليَوْمَ؟ قَالَتْ: وَما كانَ مِنْ عَزْمَتِهِ يا بُنَيَّةُ؟ قَالَتْ: إِنَّه أَمَرَ مُنادِيَهُ فَنادىٰ أَنْ لَا يُشَابَ اللَّبَنَ بِالماءِ. فَقالَتْ لَها: يا بُنَيَّةُ! قُومي إِلىٰ ذَلِكَ اللَّبَنِ فامْذُقيهِ بِالماءِ؛ فَإِنَّكِ بِمَوْضِعٍ لا يَرَاكِ عُمَرُ ولَا مُنادِي عُمَرُ. فَقالتْ الصَّبيَّةُ لِأُمِّهَا: يا أُمَّتاهُ! **واللهِ ما كُنْتُ لِأُطِيعَهُ فِي المَلَأِ وأَعْصِيَهُ فِي الخلاءِ!** وَعُمَرُ يَسْمَعُ كُلَّ ذَلِكَ. فَقالَ يا أَسْلَمُ عَلِّمِ البَابَ واعْرِفِ المَوْضِعَ. ثُمَّ مَضَىٰ في عَسَسِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ قالَ: يا أَسْلَمُ امْضِ إِلَىٰ ذَلِكَ المَوْضِعِ فانْظُرْ مَنِ القَائِلَةُ، وَمَنِ

المَقُولُ لَها،وَهَلْ لَهُمْ مِن بَعْلٍ. فأَتَيْتُ المَوْضِعَ فَنَظَرْتُ؛ فإِذا الجَارِيَةُ أَيِّمٌ لَا بَعْلَ لَها، وَإِذا تِلْكَ أُمُّها،وإِذَا لَيْسَ لَهُما رَجُلٌ.

فَأَتَيْتُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ فَأَخْبَرْتُهُ. فَدَعا عُمَرُ وَلَدَهُ فَجَمَعَهُمْ، فَقالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلىٰ امْرَأَةٍ أُزَوِّجُهُ؟ وَلَوْ كانَ بِأَبِيْكُمْ حَرَكَةٌ إِلىٰ النِّسَاءِ ما سَبَقَهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلىٰ هَذِهِ الجَارِيَةِ. فَقالَ عَبْدَ اللهِ: لِي زَوْجَةٌ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لِي زَوْجَةٌ. وقالَ عَاصِمٌ: يا أَبَتاهُ! لا زَوْجَةَ لِي فَزَوِّجْنِي. فَبَعَثَ إِلىٰ الجَارِيَةِ فَزَوَّجَهَا مِنْ عاصِمٍ - أَنَّها امْرأَةٌ مِنْ بَنِي هِلالٍ - فَوَلَدَتْ لِعاصِمٍ بِنْتًا، وَوَلَدَتِ البِنْتُ بِنْتًا، وَوَلَدَتِ الابْنَةُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ ﵀ قالَ الشَّيْخُ هَكَذا وَقَعَ في رُواةِ الآجِرِّيِّ؛ فَلا أَدْرِي مِمَّنِ الغَلَطُ. وإِنَّما الصَّوابُ: فَوَلَدَتْ لعَاصِمٍ بِنْتًا وَوَلَدَتْ البِنْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ)[1].

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزَّاهد»: ص١٠-١١. للحافظ جمال الدِّين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي، ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ).

٦٧

وَهلْ يُسْفَكُ الدَّمُ وتُركب العظائم إلّا بالنَّمِيمَة

(عَنْ عَطاءِ بنِ السَّائِبِ، قالَ: قَدِمْتُ من مكَّةَ، فَلَقِيَني الشَّعبيُّ، فقالَ: يَا أَبَا زَيدٍ! أَطْرِفْنا مِمَّا سَمِعْتَ بِمكَّةَ. فَقُلْتُ: سَمِعْتُ عبدَ الرَّحمنِ بنَ سابطٍ يقولُ:

لا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَافِكُ دَمٍ، وَلَا آكِلُ رِبًا، وَلَا مَشَّاءٍ بِنَميمَةٍ!

فَعَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ عَدَلَ النَّمِيمَةَ بِسَفْكِ الدَّمِ وأَكْلِ الرِّبا!

فَقالَ الشَّعبيُّ: وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا؟!

وَهَلْ يُسْفِكُ الدَّمُ وَتُركبُ العَظائِمُ إِلَّا بالنَّمِيمَة؟)[1].



(١) «المجالسة وجواهر العلم»: ج ١، ص٢٧٦. لأَبي بكر أَحمد بن مروان الدينوري المالكي رحمه الله (ت ٣٣٣ هـ).

٦٨



سُوءُ عاقبَةٍ لمَن يَكذِبُ علَى رسولِ اللّهِ



(عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا - مِن بَنِي النَّجَّار - فَأَسْلَمَ، وقَرَأَ البَقَرَةَ وآلَ عِمْرَانَ؛ فَكانَ يَكْتُبُ للنَّبِيِّ ﷺ فعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكانَ يقولُ: ما يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا ما كَتَبْتُ له فَأَمَاتَهُ اللهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وقدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ[١]. فقَالوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وقدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ منهمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وأَعْمَقُوا لَهُ في الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّه لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ)[٢].

(١) رمَتْه من داخل القبر إلىٰ خارجه.

(٢) رواه البخاري: (٣٦١٧).

٦٩




ومزّقَ الله مُلكَه

(وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ، وكِلَاهُمَا لَمْ يُسْلِم، لَكِنَّ قَيْصَرَ أَكْرَمَ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَكْرَمَ رَسُولَهُ، فَثَبَتَ مُلْكُهُ، فَيُقَالُ: إِنَّ المُلكَ بَاقٍ فِي ذُرِيَّتِهِ إِلَىٰ اليَوْمِ، وَكِسْرىٰ مَزَّقَ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاسْتَهْزأَ بِرَسُولِ اللهِ؛ فَقَتَلَهُ اللهُ بَعْدَ قَليلٍ، وَمَزَّقَ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَلَمْ يَبْقَ للأَكَاسِرَةِ مُلْكٌ.

وَهَذَا وَاللهُ أَعلَمُ تَحْقيقُ قَولِهِ تَعالىٰ:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

فَكُلُّ مَنْ شَنَأَهُ، أَوْ أَبْغَضَهُ وَعَادَاهُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقْطَعُ دَابِرَهُ، ويَمْحقُ عَيْنَهُ وَأَثَرَهُ)[١].

---

(١) «الصَّارمُ المسلول علىٰ شاتم الرَّسول»: ص٣١٦. لشيخ الإِسلام تقي الدِّين ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ).



٧٠



فتركتُه وجئتُ هاهنا أعبدُ ربِّي



(حَدَّثَنَا؛ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:

بَيْنَمَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ فِي مَمْلَكَتِهِ؛ فَتَفَكَّرَ فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْقَطِعٌ عَنْهُ، وَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ قَدْ شَغَلَهُ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ، فَتَسَرَّبَ فَانْسَابَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ قَصْرِهِ، فَأَصْبَحَ فِي مَمْلَكَةِ غَيْرِهِ، وَأَتَىٰ سَاحِلَ الْبَحْرِ، وَكَانَ بِهِ يَضْرِبُ اللَّبِنَ بِالْأَجْرِ فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَضْلِ؛ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ رَقِيَ أَمْرُهُ إِلَىٰ مَلِكِهِمْ وَعِبَادَتُهُ وَفَضْلُهُ؛ فَأَرْسَلَ مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَأَبَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُ. فَأَعَادَ ثُمَّ أَعَادَ إِلَيْهِ فَأَبَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُ. وَقَالَ: مَا لَهُ وَمَا لِي؟

قَالَ: فَرَكِبَ الْمَلِكُ، فَلَمَّا رَآهُ الرَّجُلُ، وَلَّىٰ هَارِبًا، فَلَمَّا

رَأَىٰ ذَلِكَ الْمَلِكُ رَكَضَ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يُدْرِكْهُ. قَالَ:

فَنَادَاهُ يَا عَبْدَ اللهِ! إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ. فَأَقَامَ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ. فَقَالَ: لَهُ مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ صَاحِبُ مُلْكِ كَذَا وَكَذَا؛ تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مُنْقَطِعٌ؛ فَإِنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَتَرَكْتُهُ، وَجِئْتُ هَاهُنَا أَعْبُدُ رَبِّي ﷻ.

فَقَالَ: مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَىٰ مَا صَنَعْتَ مِنِّي. قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فَسَيَّبَهَا، ثُمَّ تَبِعَهُ، فَكَانَا جَمِيعًا يَعْبُدَانِ اللهَ ﷻ فَدَعَوَا اللهَ أَنْ يُمِيتَهُمَا جَمِيعًا. قَالَ: فَمَاتَا.

قَالَ: لَوْ كُنْتُ بِرُمَيْلَةِ[(١)] مِصْرَ؛ لَأَرَيْتُكُمْ قُبُورَهُمَا بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ)[(٢)].

---

(١) هي تحت قلعة الجبل؛ كانت ميدان أحمد بن طولون، وبها كانت قصوره وبساتينه. وهي الآن المعروفة باسم ميدان صلاح الدِّين، أو باسم المنشية بالقاهرة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند»: (٣٤١٢).

٧١



لا يَرْتَفِعَ شيءٌ مِنَ الدُّنْيا إلَّا وضَعَهُ



(عَنْ أَنَسِ بنِ مَالكٍ ﵁ كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّىٰ العَضْباءُ[١] لا تُسْبَقُ، أَوْ لا تَكادُ تُسْبَقُ؛ فَجاءَ أَعْرابِيٌّ علَىٰ قَعُودٍ[٢] فَسَبَقَها؛ فَشَقَّ ذلكَ علَى المُسْلِمِينَ حتَّىٰ عَرَفَهُ[٣].

فقالَ: «حَقٌّ علَىٰ اللهِ أَنْ لا يَرْتَفِعَ شيءٌ مِنَ الدُّنْيا؛ إِلَّا وضَعَهُ»)[٤][٥].

---

(١) لقبُ النَّاقَةِ، وكانتْ سريعةَ العَدْوِ.

(٢) وهو ما بلغَ منَ الإبلِ منَ السِّنِّ ما يُمكِّنُ أَن يُجلسَ عليه.

(٣) حتَّىٰ عُرِفَ وظهرَ علىٰ وُجوههم كونُ هذا الأَمرِ ثقيلًا وشاقًّا عليهم.

(٤) رواه البخاري: (٢٨٧٢).

(٥) من سُنَّةِ الله في خلقه أَن بعدَ الصُّعودِ يكونُ الهُبوطُ؛ فلا يدومُ الحالُ في الدُّنيا لأَحَدٍ؛ فبيَّنَ لهم ﷺ أَنَّ هذه سُنَّةُ الله فمهما ارتفعَ شيءٌ في الدُّنيا وضعَه الله تعالىٰ. وفي الحديث: مشروعيَّةُ السَّبقِ في الإِبل. والتَّنبيهُ علىٰ تركِ المُباهاةِ والفخرِ بشيءٍ من متاعِ الدُّنيا.



تَكْثيرَ الشُهودِ ليومِ القِيامَةِ



(إِنَّ في دَوامِ الذِّكْرِ في الطَّريقِ، والبيتِ والحَضَرِ والسَّفَرِ والبِقاعِ تكثيرًا لشُهودِ العبدِ يومَ القِيامَةِ، فإِنَّ البُقْعَةَ والدَّارَ والجَبَلَ والأَرضَ تَشْهدُ للذَّاكِرِ يومَ القِيامَةِ، قالَ تعالىٰ:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ١ - ٨].

فَرَوىٰ التِّرمذيُّ في جامعِه؛ من حديثِ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عنْ أَبي هُرَيرةَ قالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارَهَا؟» قالوا: اللهُ ورَسُولهُ أَعْلم! قَالَ:

«**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ علىٰ كُلِّ عَبْدٍ، أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وكَذَا؛ فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**» رَواهُ التِّرْمِذيُّ[1]، وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

والذَّاكرُ للهِ ﷻ في سائِرِ البِقاعِ؛ مُكْثِرٌ شهودَهُ ولَعلَّهُم، أَو أَكْثَرَهُم أَنْ يَقْبَلوهُ يومَ القِيامَةِ، يومَ قِيامِ الأَشْهادِ، وَأَدَاءِ الشَّهاداتِ[2]؛ فَيَفْرَحُ ويَغْتَبِطُ بِشَهادَتِهِمْ)[3].



---

(١) رواه الترمذي: (٢٤٢٩).

(٢) فالشاهد أَن الأَرض تشهد، والشهود كثير، الملائكة يشهدون، والأَرض تشهد والبقاع، وكذلك الأَعمال، الجلود، كل ذلك ينطق على الإنسان، فإِنَّ أَخبارها أَن تشهد علىٰ كل عبد أَو أَمة بما عمل علىٰ ظهرها، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

(٣) «الوبل الصيب من الكلم الطيب»: ص٨١. للإمام العلاَّمة أَبي عبدِ الله شَمسُ الدِّينِ محمَّدٌ بنُ أَبي بكرٍ بنُ أَيُّوبَ بنُ سعدِ الزُّرْعيُّ الدِّمشقيُّ الحنبليُّ، المعروف بابنِ قَيم الجَوزيَّة ؒ (ت ٧٥١).

٧٣



اللهُ أَرْحَمُ بعِبَادِهِ



عنْ عمرَ بنِ الخَطَّابِ ﵁ قَدِمَ علَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ[١] قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي[٢] إِذَا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فأَلْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ**».

قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَىٰ أَنْ لا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ ﷺ:

«**لَلَّهُ أَرْحَمُ بعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[٣][٤].

---

(١) أَي: من الإِماءِ.

(٢) فقَدَتْ صَبيَّها وتَضرَّرَتْ باجتماعِ اللَّبنِ في ثديها؛ فهي تحلُبُ ثديَها تَسقي به.

(٣) رواه البخاري: (٥٩٩٩).

(٤) في الحديثِ: ضربُ المثَلِ بما يُدرَكُ بالحواسِّ لِمَا لا يُدرَكُ بها؛ لتحصيلِ معرفة الشَّيءِ علىٰ وجهِه.

٧٤



كما تدين تدان



(جاءنا أَبو عبدِ اللهِ بنُ وارِمٍ الكوفيُّ المُتَكَلِّمُ. قالَ: كانَ عِنْدَنا بالكوفَةِ رجُلٌ لَهُ ابنٌ عاقٌّ به؛ فَلاحاهُ يومًا في شيءٍ، فجَرَّ برِجْلِهِ حتَّىٰ أَخْرَجَهُ مِنْ بَيتِهِ، وسَحَبَهُ في الطَّريقِ شَيئًا كَثيرًا. فلَمَّا بَلَغَ إِلىٰ مَوْضِعٍ مِنْهُ. قالَ لَهُ: **يا بُنيَّ! حَسْبُكَ، فإِلىٰ هاهنا جَرَرْتُ بِرِجْلٍ لأَبي إلى الدَّارِ؛ حتَّىٰ جَرَرْتَني مِنْها!**)[1].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ مَا شَاءَ مِنْهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ**»[2].

---

(١) «نشوار المحاضرة وأَخبار المذاكرة»: ص٣٧٧. للقاضي أَبي علي المحسن بن علي التنوخي البصري رحمه الله (ت ٣٨٤ هـ).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك»: (٧٣٤٥).



ذَنْبُ الزِّنا



(قالَ الإِمامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: **لا أَعلمُ بَعْدَ القَتْلِ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنَ الزِّنا**. واحتَجَّ بِحَديثِ عَبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الذَّنبِ أَعظَمُ؟ قالَ ﷺ: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وهُوَ خَلَقَكَ**» قالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**أَنْ تَزْني بحَليلَةِ جارِكَ**». فأَنزَلَ اللهُ - سُبْحانَهُ - تَصْديقَهَا: ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٨][١])[٢].

---

(١) رواه البخاري: (٤٤٧٧) ومسلم: (٨٦).

(٢) «الدَّاء والدَّواء»: ص١٧٦. للإمام محمد بن أَبي بكر بن ايوب؛ ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٥١هـ).




مفاسد الزِّنى

(مَفْسَدَةُ الزِّنىٰ مُناقِضَةٌ لِصَلاحِ العالَمِ: فَإِنَّ المَرْأَةَ إِذَا زَنَتْ أَدْخَلَتِ العَارَ عَلىٰ أَهْلِها وزَوْجِها وأَقارِبِها، ونَكَّسَتْ رُءُوسَهم بَيْنَ النَّاسِ، وإِنْ حَمَلَتْ مِنَ الزِّنىٰ، فَإِنْ قَتَلَتْ ولَدَها جَمَعَتْ بَيْنَ الزِّنىٰ والقَتْلِ، وإِنْ حَمَلَتْهُ عَلى الزَّوْجِ أَدْخَلَتْ عَلىٰ أَهْلِهِ وأَهْلِها أَجْنَبِيًّا لَيْسَ مِنهُمْ، فَوَرِثَهم ولَيْسَ مِنهُمْ، ورَآهم وخَلا بِهِمْ وانْتَسَبَ إِلَيْهِمْ ولَيْسَ مِنهُمْ، إِلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن مَفاسِدِ زِنَاهَا. وَأَمَّا زِنىٰ الرَّجُلِ؛ فَإِنَّهُ يُوجِبُ اخْتِلاطَ الأَنْسابِ -أَيْضًا- وإِفْسادَ المَرْأَةِ المَصُونَةِ، وتَعْرِيضَها لِلتَّلَفِ والفَسادِ، وفي هَذِهِ الكَبِيرَةِ خَرابُ الدُّنْيا والدِّينِ، وإِنْ عَمَرَتِ القُبُورَ في البَرْزَخِ والنَّارَ في الآخِرَةِ؛ فَكَمْ في الزِّنىٰ مِنِ اسْتِحْلالٍ لِحُرُماتٍ، وفَواتِ حُقُوقٍ، ووُقُوعِ مَظالِمَ؟)[1].

---

(١) «الدَّاء والدَّواء»: ص٢٥٠. لابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ).

٧٧



لَعَلِّي أَدْخُلُ في فتنةٍ



(كانَ سُفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللهُ يَتَمَنَّىٰ المَوتَ كَثيرًا!

فَسُئِلَ عنْ ذَلِكَ، فقالَ:

* ما يُدْريني لَعَلِّي أَدْخُلُ في بِدْعَةٍ.

* لَعَلِّي أَدْخُلُ فيما لا يَحلُّ لِي.

* لَعَلِّي أَدْخُلُ في فِتْنَةٍ.

أَكونُ قدْ مِتُّ فَسَبَقْتُ هَذَا)(١).



(١) «تفسير ابن رجب الحنبلي»: ص٢٠٩. للإمام الحافظ العلامة أَبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أَحمد البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن رجب رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٩٥ هـ).

٧٨



البِدْعَةُ لا يُتَابُ مِنْها



(قالَ بَعْضُ السَّلفِ: **البِدْعَةُ أَحَبُّ إِلىٰ إِبْليسَ مِنَ المَعْصِيَةِ؛ لأَنَّ المَعْصِيَةَ يُتابُ مِنها، والبِدْعَةُ لا يُتابُ مِنْها.**

وقال إِبْليسُ: أَهْلَكْتُ بَني آدمَ بالذُّنوبِ، وأَهْلَكَني بالاسْتِغْفارِ، وبِلا إِلهَ إِلَّا اللهُ.

فَلَمَّا رَأَيتُ ذَلِكَ بَثَثْتُ فيهِمُ الأَهْواءَ، فَهُمْ يُذنِبونَ، وَلا يَتوبونَ؛ لأَنَّهُمْ يَحْسَبونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعًا)[١].



(١) «الدَّاء والدَّواء»: ص٢٢٢. للإمام محمد بن أَبي بكر بن ايوب؛ ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ).

٧٩



أَقَتَلْتَ قتيلًا



عَنْ سُفيانَ الثَّوريِّ رَحِمَهُ اللهُ قالَ:

بَلَغنا أَنَّ أُمَّ الرَّبيعِ[١] كانت تُنادي، فتَقولُ: يا بُنيَّ يا رَبيعُ! أَلَا تنامُ. فيَقولُ: يا أُمَّاهُ! مَنْ جَنَّ عليهِ اللَّيلُ، وَهُوَ يَخافُ البَياتَ حُقَّ لَهُ أَنْ لا يَنامَ. قالَ: فَلَمَّا بَلَغَ وَرَأَتْ ما يَلْقىٰ مِنَ الْبُكَاءِ والسَّهَرِ، نادَتْهُ! فَقالَتْ: يا بُنَيَّ لَعَلَّكَ قَتَلْتَ قَتيلًا؟ فقالَ: نَعَم يا والدةُ. قَتَلْتُ قتيلًا. فَقالَتْ: وَمَنْ هَذا القَتيلُ يا بنيَّ! نَتَحَمَّلْ عَلىٰ أَهْلِهِ فَيَعْفوكَ، وَاللهِ لَو عَلِموا ما تَلْقىٰ مِنَ الْبُكاءِ والسَّهَرِ لَقَدْ رَحِموكَ. فَيقولُ: **يا والِدَتي هِيَ نَفسُ نَفْسي**)[٢].

---

(١) التَّابعي الإمام القدوة الرَّبيع بن خيثم الثوري الكوفي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٥٦ هـ).

(٢) «صفة الصفوة»: ج٢، ص٤٠. لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٥٩٧ هـ).

٨٠



المظلومُ لا يـهدأ والظالم لن يـهنأ



لَنْ يَهْدَأَ المَظْلُومُ؛ لأَنَّهُ صَاحِبُ حَقٍّ، وَقَضِيَتَهُ عَادِلَةٌ مُتَصِلَةٌ بالسَّمَاءِ؛ يُرَابِطُ لَهَا، وَيُرَاهِنُ عَلَيْهَا..

وَالظَّالِمُ لَنْ يَهْنَأْ؛ فَدَعْواتِ المَظلومينَ لَهُ بالمِرصَادِ، تَرْفَعُ للسَّماءِ كالشَّرَارَةِ، لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حَجابٌ..

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»[1].

وَقَالَ ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ**»[2].

وَقَالَ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ**

(١) رواه البخاري: (٢٤٤٨) ومسلم: (١٩).

(٢) رواه أبو داود: (١٥٣٦) الترمذي: (١٩٠٥).

حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَىٰ الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمٰوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[1].

وَقَالَ ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ**»[2].

وعَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ أَنَّهُ قَالَ:

«**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا**»[3].

قالَ أَحَدُ الصَّالِحينَ:

(اللَّهُمَّ! احْشُرْني مَعَ المَظْلومينَ؛ لَئنْ أَمُوتَ وَأَنا مَظْلومٌ، خَيْرٌ لِي مِنْ أَنَ أَمُوتَ وَأَنَا الظَّالِمُ).

---

(١) رواه الطبراني: (٣٧١٨).

(٢) رواه ومسلم: (٢٥٧٨).

(٣) رواه ومسلم: (٢٥٧٧).

٨١



وَرِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ



قالَ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ الجَوزِيَّةِ رَحِمَهُ اللهُ:

(**الجَنَّةُ**: لَيْسَتِ اسْمًا لِمُجَرَّدِ الأَشْجارِ، والفَواكِهِ، والطَّعامِ والشَّرابِ، والحُورِ العِينِ، والأَنْهارِ والقُصُورِ.. وأَكْثَرُ النَّاسِ يَغْلَطُونَ في مُسَمَّى الجَنَّةِ!

فَإِنَّ **الجَنَّةَ**: اسْمٌ لِدارِ النَّعِيمِ المُطَلَّقِ الكامِلِ.

ومِن أَعْظَمِ نَعِيمِ الجَنَّةِ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلىٰ وجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، وسَماعُ كَلامِهِ، وقُرَّةُ العَيْنِ بِالقُرْبِ مِنهُ وبِرِضْوانِهِ..

فَلا نِسْبَةَ لِلَذَّةِ ما فِيها مِنَ المَأْكُولِ والمَشْرُوبِ والمَلْبُوسِ والصُّوَرِ، إِلىٰ هَذِهِ اللَّذَّةِ أَبَدًا؛ فَأَيْسَرُ يَسِيرٍ مِن رِضْوانِهِ أَكْبَرُ مِنَ الجِنانِ، وما فِيها مِن ذَلِكَ، كَما قالَ تَعالىٰ:

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢]...

وَكَذَلِكَ **النَّارُ** أَعاذَنا اللهُ مِنها؛ فَإِنَّ لأَرْبابِها مِن عَذابِ الحِجابِ عَنِ اللهِ وإهانَتِهِ، وغَضَبِهِ وسَخَطِهِ، والبُعْدِ عَنْهُ: أَعْظَمَ مِنَ التِهابِ النَّارِ في أَجْسامِهِمْ وأَرْواحِهِمْ، بَلِ التِهابُ هَذِهِ النَّارِ في قُلُوبِهِمْ هوَ الَّذِي أَوْجَبَ التِهابَها في أَبْدانِهِمْ. ومِنها سَرَتْ إِلَيْها.

فَمَطْلُوبُ الأَنْبياءِ والمُرْسَلِينَ والصِّدِّيقِينَ، والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ هو الجَنَّةُ، ومَهْرَبُهم مِنَ النَّارِ)[١]..



(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»: ج ٢، ص٨٠. للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب؛ ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ).

٨٢



نافقَ حنظلةُ!



(يَقولُ حَنظَلَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَقالَ: كيفَ أَنْتَ؟ يا حَنْظَلَةُ! قالَ: قُلتُ: نَافقَ حَنْظَلَةُ[١]! قالَ: سُبْحَانَ اللهِ! ما تَقُولُ؟ قالَ: قُلتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ؛ حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ[٢]، فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ[٣] وَالضَّيْعَاتِ[٤]؛ فَنَسِينَا كَثِيرًا[٥].

(١) أَي: خَشِيَ علىٰ نفسه النِّفاق.

(٢) أَي: نكونُ وكأنَّا نراهُما رأي عينٍ من قوَّةِ الإيمانِ، واستحضارِ القلبِ، وتأثَّرنا بذلكَ تأثُّرَ مَن يراهُما بعَينِه.

(٣) أَي: لاعَبْناهُم وصارعْناهُم وانْشغَلنا بهم.

(٤) «الضَّيعاتِ»: هي مَعاشُ الرَّجل مِن مالٍ أو حِرفَةٍ أو صناعةٍ.

(٥) «فنَسينا كثيرًا»: أَي: كَثيرًا مِمَّا ذكَّرَنا به رَسولُ الله ﷺ وصِرنا وكَأنَّنا لم نَسمَعْ شَيئًا؛ فاتَّهمَ نَفسَه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالنِّفاقِ بسببِ ذلكَ؛ لأَنَّ النِّفاقَ إنَّما يَكونُ بإظهارِ شَيءٍ وكَتْمِ غَيرِه، وهُو يُظهِرُ شَيئًا في حَضرةِ رَسولِ الله ﷺ وإذا كان مَع أَولادِه وزَوجَتِه يَكونُ خِلافَ ذلك.

قالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ! إِنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هذا!

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ؛ حتَّىٰ دَخَلْنَا علَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يا رَسُولَ اللهِ! فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**وَما ذَاكَ؟**». قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ؛ فَإِذَا خَرَجْنَا مِن عِندِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«**وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ! إِنْ لو تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِندِي، وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ! سَاعَةً وَسَاعَةً**[1]» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[2][3].

---

(١) أَي: ساعةً في الحُضورِ والذِّكْرِ، وساعةً في مُعافَسةِ الأَولادِ والأَزْواجِ، وكَرَّرَها ثَلاثَ مَرَّاتٍ؛ تأكيدًا لتلك المعاني وليُزيلَ عنهم ما اتَّهموا بِه أَنفُسَهم من النِّفاقِ.

(٢) رواه البخاري: (٢٥١٤) ومسلم: (٢٧٥٠).

(٣) فمن فقه الحديثِ: أَنَّه يشير إلىٰ عدلُ الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ في إعطاءِ كُلِّ ذي حقٍّ حقَّه منَ النَّفسِ والأَولادِ والزَّوجاتِ بعدَ حَقِّ الله. وفيه: التَّعبُّدُ إلىٰ الله براحةِ النَّفسِ؛ لأَنَّ العَبدَ إذا أَثقَلَ علىٰ نَفسِه مَلَّ وتَعِبَ ورُبَّما أَضاعَ حُقوقًا كثيرةً.

٨٣



الصراعُ بين الحقِّ والباطل



الصِّراعُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ؛ صِرَاعٌ طَويلٌ مَرِيْرٌ، ودائمٌ علىٰ مَدارِ التَّاريخِ، يأْبى البُّغَاةُ المعتدونَ إِلَّا أَنْ يَظلِمُوا أَهلَ الحقِّ، ويَقْعُدُوا لَهُمْ في كلِّ طَريقٍ، ويُحَاولوا أَنْ يَفْتِنُوهُمْ ويَرُدُّوهُمْ عنْ دينِهِمُ الحقِّ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فَبِمَا أَنَّهمْ حَريصُونَ علىٰ وَأْدِ الحقِّ والنَيْلِ مِنْهُ؛ يَحُلُّ بِهِمُ الجَزاءُ العَادِلُ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

وقالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فالصِّرَاعُ فيهِ دُرُوسٌ وعِبَرٌ؛ يَجِبُ أَنْ يَعِيَهَا المؤمنُ الصَّادِقُ! ولا يَغْفَلَ عنها؛ فهو مُرُّ المذَاقِ، كثيرُ الجراحِ، فادِحُ التَّضحياتِ.. ولقدْ تَحَمَّلَ الرَّعيلُ الأَوَّلُ كُلَّ هَذا.. وأَيقنوا أَنَّ الصِّراعَ كُلَّما اشْتَدَّتْ وطأَتُهُ، وأَظلَمَ لَيلُهُ؛ كانَ بُزُوغُ الفَجْرِ وانْتِهاءُ الظَّلامِ قريبًا، وأَنَّهُ آنَ أَوانُ تَحَقُّقِ الأَملِ المَنْشُودِ والنَّصرِ المُؤَزَّرِ، قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

فالعاقبةُ لأَهلِ الحقِّ لا مَحال، والحقُّ هو المُنْتَصِرُ في نهايَةِ الحَالِ، وأَنَّ الباطلَ وإِنْ حَقَّقَ انتصاراتٍ؛ فإِنَّها انتصاراتٌ آنيَةٌ واهيةٌ وماديَّةٌ، ولَيْسَتْ بانتصاراتٍ حقيقيَّةٍ.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨].

فلا بُدَّ لحملَةِ الرِّسَالَةِ ودُعاتِها الصَّادقينَ من التَّمَسُّكِ بِعَقيدَتِهِمْ؛ فَهِيَ الحَقُّ الَّذِي قَامَتْ عَلَيْهِ السَّمٰواتُ والأَرْضُ، ولا بُدَّ مِنَ الإِيمانِ بِهَا، والعَمَلِ مِنْ أَجْلِ تَرْسِيخِهَا في قُلُوبِ المُسْلِمينَ؛ فَإِنَّها أَمَانَةٌ آلتْ إِلينا بَعْدَ جِهَادٍ طَويلٍ، وتَضْحياتٍ عَظِيمَةٍ، ودِمَاءٍ زَكيَّةٍ؛ فَهِيَ أَمَانَةٌ نُورِثُها للأَجْيالِ:

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٤].

فيَجِبُ أَنْ يكونَ القُرآنُ العظيمُ دُسْتُورَنا؛ نَتَعَلَّمُ فِقْهَهُ ونَعملُ بأَحكامِهِ، ونُرَبِي الجيلَ النَّاشِىءَ علىٰ حفظِهِ وتلاوتِهِ وفَهْمِهِ وتَدبُّرِهِ والعملِ بِهِ؛ فإِنَّ أَسرارَهُ لا تَتفَتَّحُ لمَنْ يَتْلُونَهُ فَحَسبُ، بل تُفْتَحُ لمَنْ يُتابعُ تَوجيهاتِهِ، ويُؤْمنُ بوعودِهِ..

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].



٨٤



نموذجٌ إيمانيٌّ فريدٌ: يوسف عَلَيۡهِ السَّلَامُ



لقدْ قَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابِهِ العزيزِ[1]؛ قِصَّةَ نَبيِّهِ يُوسُفَ بنِ يعقوبَ بن إِسحاقَ بن إِبراهِيمَ عَلَيۡهِمُ السَّلَامُ قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [يوسف: ٣].

ولقدْ عَانىٰ يوسُفُ عَلَيۡهِ السَّلَامُ أَلوانًا منَ المِحَنِ؛ مِحْنَتَهُ مع إِخْوَتِهِ، ومِحنتَهُ وهوَ في الجُبِّ، ومِحنتَهُ وهوَ يُباعُ كالسِّلْعَةِ، ومِحنتَهُ في كَيْدِ النِّساءِ لَهُ، ثُمَّ مِحنَةَ السِّجنِ.. ومعَ كلِّ هذِهِ المِحَنِ؛ نَجِدُهُ خَلْفَ القُضبانِ ووَراءَ السُّدُودِ والأَسوارِ، لا ينطَوي علىٰ نفسِهِ، ولا يَنْدُبُ حَظَّهُ، لكنَّهُ يُوجِّهُ اهتمامَهُ بالحقِّ

(١) هذه القصة نزلت على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في فترة حرجة من تاريخ الدعوة، بين عام الحزن بموت أَبيٰ طالب وخديجة رَضِيَ اللهُ عَنۡهَا وبين بيعة العقبة؛ فكانت بلسمًا وترويحًا عن رسول الله وصحابته، وعن المؤمنين في كلِّ زمان ومكان إِلىٰ يوم القيامة.

الَّذي كرَّمَهُ اللهُ بهِ، وبالرِّسالَةِ الَّتي شَرَّفَهُ بها، فينطلِقُ لسَانُهُ يُبَيِّنُ لمَنْ معَهُ في السِّجنِ، ويُعلمُهُمْ عقيدَةَ التَّوحيدِ، واليَقينَ بالآخرَةِ، كما يُوضِّحُ لهُمُ العقائِدَ الفاسِدَةَ:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

ثُمَّ يُعْلِنُ رَأْيَهُ فِيمَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ فيُنادِي مَن معَهُ بشجاعَةٍ وقُوَّةٍ، ويَهُزُّ وجْدَانَهُمْ:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

٨٥



نموذجٌ إيمانيٌّ آخر: مؤمنُ آل ياسين



قِصَّةُ دَاعِيَةٍ مُخْلصٍ للهِ تعالىٰ؛ قِصَّتُهُ بَدَأَتْ سَرِيعَةً، وانْتَهَتْ سَريعَةً، ولكِنْ نهايَتُهَا كانَتْ عَظيمَةً، ولمْ يُذْكَرِ اسْمُهُ في القُرآنِ؛ ليكونَ رمزًا لكلِّ مَنْ يُريدُ أَنْ يكونَ داعيَةً في طريقِ الحقِّ:

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ [يس: ٢٠].

إِنَّهُ النُّموذجُ المؤْمِنُ الحَيُّ الَّذي اتَّبَعَ الذِّكْرَ، وخَشِيَ الرَّحمَنَ بالغَيْبِ؛ فكانَ لَهُ مَوقِفٌ مُشَرِفٌ معَ القُلوبِ المُغلقَةِ المُسْتَكْبِرَةِ على اللهِ تعالىٰ وعلىٰ رُسُلِهِ ودَعْوَتِهِ، فَعندَما سَمِعَ مُؤْمِنُ آلِ ياسينَ أَنَّ أَهلَ القَرْيَةِ سَتَقْتُلُ الرُّسُلَ(١):

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [يس: ١٨].

---

(١) لأَنَّ دعوةَ الحقِّ عند أَهل الباطل؛ صاحبها مُتهَمٌ، يجبُ عليه السُّكُوت، وإِلّا يمسه العذاب الأَليم.



لَمْ يَسْتَطِعِ السُّكُوتَ، ولمْ يُؤْثِرِ الصَّمْتَ فِي وقْتِ الشَّدَائِدِ؛ فأَسْرَعَ إِليهم رَغْمَ ضَعْفِ بَدَنِهِ وبُعْدِ مَكانِهِ، ليقومَ بواجبِهِ فِي الدَّعوَةِ بالأَمرِ بالمعروفِ والنَّهي عنِ المُنكَرِ؛ لأَنَّ قلبَهُ مَغْمورٌ بِحُبِّ اللهِ تعالىٰ، وحُبِّ دعوتِهِ، وصَاحَ فيهم بقوَّةِ إِيمانِهِ الصَّادِقِ:

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥].

ثُمَّ يَطْلُبُ منهُمْ أَنْ يَتَّبِعوا المُرسلينَ، ويَتَحدَّثُ إِليهمْ بكلِّ شَجاعَةٍ وصَراحَةٍ:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1] [يس: ٢٠-٢١].

ثُمَّ يَدْعُوهُمْ للإِيمانِ باللهِ تعالىٰ رَبًّا واحدًا - بدُونِ تَرَدُّدٍ ولا خَوَرٍ وبكلِّ وضُوحٍ دونَ مُيوعَةِ الوسَطيَّةِ المزعومةِ - فقالَ:

---

(١) أَي: لا يطلبون أَجرًا ماديًّا علىٰ دعوتهم؛ فكلما كانت الدَّعوة خالصة لله تعالىٰ؛ كان القبول لها اسرع فِي القلوب، فالدعاة إِلىٰ الله لايطلبون أَجرًا إِنَّما أَجرهم عند الله؛ فهم يريدون هداية النَّاس للخيرِ والحقِّ فقط.

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٢٢].

لَمْ يُمْهِلْهُ الطُّغاةُ؛ فَقَتَلُوهُ.. فَرُزِقَ الشَّهادَةَ.. فَرَفَعَهُ اللهُ ﷻ إِلىٰ دَارِ الخُلْدِ والكرامَةِ:

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٧].

وهُنا تتَدخَلُ إرادَةُ السَّماءِ وعَدالَتُها بِحَسْمِ المَوقِفِ لِصَالحِ الَّذينَ آمَنوا واتَّقوا، ليوقِفَ الَّذينَ يَبْغُونَ في الأَرضِ فسادًا بغيرِ الحقِّ عندَ حَدِهِمْ، لقدْ صَاحَ عليهِمْ جبريلُ عليه السلام فَخَمَدُوا كَما تَخْمُدُ النَّارُ. قالَ اللهُ تعالىٰ:

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾

[يس: ٢٨-٢٩].



٨٦



أيُّ الصَّدقةِ أعْظمُ أَجْرًا



(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟

قَالَ: «**أَنْ تَصدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ[١] شَحِيحٌ[٢] تَخْشَىٰ[٣] الفَقْرَ، وتَأْمُلُ[٤] الغِنَىٰ، ولَا تُمْهِلُ[٥] حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ[٦]**» قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا وقدْ كانَ لِفُلَانٍ[٧])[٨].

---

(١) أَي: ليس بك مرَضٌ أَو عِلَّةٌ.

(٢) أَي: البُخلُ مع الحِرصِ.

(٣) أَي: تخاف من الفقر.

(٤) أَي: تتمنىٰ.

(٥) أَي: تؤخر.

(٦) أَي: شعَرتَ بقُربِ المَوتِ.

(٧) أَي: من الدُّيونِ أَو الحُقوقِ.

(٨) رواه البخاري: (١٤١٩) ومسلم: (١٠٣٢).

٨٧



كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ



(عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ».

قَالَتْ عَائِشَةُ، أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ:

«لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ.

وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ؛ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ»[(١)].

---

(١) رواه البخاري: (٦٠٢٦).

٨٨



نَعوذُ بِاللّهِ مِنْ سُوءِ قَضَاءٍ



(قالَ ابْنُ السَّمْعانِيِّ: سَمِعْتُ أَبا الفَضْلِ صَافِي بنَ عبدِ اللهِ الصُّوفيَّ الشَّيْخَ الصَّالِحُ بِبَغْدادَ يَقولُ:

حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِنا يُوسُفَ الهَمَدانيِّ فِي النِّظَامِيَّةِ، وَكانَ قَدِ اجْتَمَعَ الْعالَمُ؛ فَقامَ فَقِيهٌ يُعْرَفُ بابْنِ السَّقاءِ، وآذاهُ وسَأَلَهُ عنْ مَسْأَلَةٍ. فَقَالَ لَهُ الإِمامُ يُوسُفُ:

اجْلِسْ فَإِنِّي أَجِدُ مِنْ كَلامِكَ رائِحَةَ الكُفْرِ، ولَعَلَّكَ تَموتُ علىٰ غَيْرِ دِيْنِ الإِسْلامِ!

قالَ أَبو الفَضْلُ: فاتُّفِقَ أَنَّ بَعْدَ هَذا القَوْلِ بِمُدَّةٍ قَدِمَ رَسُولٌ نَصْرانِيٌّ مِنْ مَلِكِ الرُّومِ إِلىٰ الخَلِيفَةِ؛ فَمَضىٰ إِلَيْهِ ابْنُ السقاءِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْتَصْحَبَهُ. وَقالَ لَهُ: يَقَعُ لِي أَنْ أَتْرُكَ دِيْنَ الإِسْلامِ وَأَدْخُلَ فِي دِينِكَ؟ فَقَبِلَهُ النَّصْرانِيُّ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلىٰ

الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ والتَحقَ بِمَلِكِ الرُّومِ، وَمَاتَ عَلى النَّصْرانِيَّةِ.

قَالَ ابْنُ النَّجّارِ: سَمِعْتُ أَبَا الكَرَمِ عبدَ السَّلامِ بنَ أَحمدٍ المُقْرِئَ يَقولُ: كانَ ابْنُ السَّقاءِ قَارِئًا لِلْقُرْآنِ مُجَوِّدًا فِي تِلاوَتِه، حَدَّثَني بَعْضُ مَنْ رَآهُ بالْقُسْطَنْطِينِيَّةُ مُلْقَىٰ عَلَىٰ دَكَّةٍ مريضًا، وَبِيَدِهِ خَلَقُ مِرْوَحَةٍ يَدْفَعُ بِها الذُّبابَ عَنْ وَجْهِهِ، قالَ فَسَأَلْتُهُ:

هَلِ القُرآنُ باقٍ عَلىٰ حِفْظِكَ؟

فَقَالَ: ما أَذْكُرُ إِلَّا آيةً واحِدَةً:

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

والبَاقي أُنْسِيتُهُ!

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُوءِ قَضَائِهِ، وزَوالِ نِعْمَةِ الإِسْلامِ)[١].



(١) «الوافي بالوفيات»: ج٢٩، ص٤٨. لصلاح الدِّين خليل بن ايبك الصَّفدي رحمه الله (ت ٧٦٤ هـ).

٨٩



نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الخُذْلانِ



(الذُّنُوبُ قد تَخْذُلُ صَاحِبَها عِنْدَ المَوْتِ؛ فَتَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الخاتِمَةِ الحُسْنىٰ! إنَّ اللهَ ﷻ يُعاقِبُ عَلى السَّيِّئَةِ بِالسَيِّئَةٍ أُخْرىٰ، وتَتَضاعَفُ عُقُوبَةُ السَّيِّئاتِ بَعْضِها بِبَعْضٍ، كَما يُثِيبُ عَلى الحَسَنَةِ بِالحَسَنَةٍ أُخْرىٰ.

إِذَا نَظَرْتَ إِلىٰ كَثِيرٍ مِنَ المُحْتَضِرِينَ، وَجَدْتَهَم يُحالُ بَيْنَهُمْ وَبَينَ حُسْنِ الخَاتِمَةِ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلىٰ أَعْمالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

قالَ الحَافِظُ أَبو مُحمَّد عبدُ الحَقِّ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ الإِشْبِيليُّ ؒ: واعْلَمْ أَنَّ لِسُوءِ الخاتِمَةِ - أَعاذَنا اللهُ مِنها - أَسْبابًا، ولَها طُرُقًا وأَبْوابًا:

أَعْظَمُها الانْكِبابُ عَلى الدُّنْيا، والإِعْراضُ عَنِ الأُخْرىٰ، والإِقْدامُ والجُرْأَةُ عَلىٰ مَعاصِي اللهِ ﷻ ورُبَّما غَلَبَ عَلى

الإِنْسانِ ضَرْبٌ مِنَ الخَطِيئَةِ، ونَوْعٌ مِنَ المَعْصِيَةِ، وجانِبٌ مِنَ الإِعْراضِ، ونَصِيبٌ مِنَ الجُرْأَةِ والإِقْدامِ، فَمَلَكَ قَلْبَهُ، وسَبىٰ عَقْلَهُ، وأَطْفَأَ نُورَهُ، وأَرْسَلَ عَلَيْهِ حُجُبَهُ؛ فَلَمْ تَنْفَعْ فِيهِ تَذْكِرَةٌ، ولا نَجَحَتْ فِيهِ مَوْعِظَةٌ، فَرُبَّما جاءَهُ المَوْتُ علىٰ ذَلِكَ، فَسَمِعَ النِّداءَ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ، فَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ المُرادُ، ولا عَلِمَ ما أَرادَ، وإِنْ كَرَّرَ عَلَيْهِ الدَّاعِي وأَعادَ...

قالَ عَبْدُ الحَقِّ: وقِيلَ لآخَرَ - مِمَّنْ أَعْرِفُهُ - قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: الدَّارُ الفُلانِيَّةُ أَصْلِحُوا فِيها كَذا، والبُسْتانُ الفُلانِيُّ افْعَلُوا فِيهِ كَذا..

وَقِيلَ لآخَرَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلىٰ حَمَّامِ مِنجابٍ. قالَ: وهَذا الكَلامُ لَهُ قِصَّةٌ، وذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كانَ واقِفًا بِإِزاءِ دارِهِ، وكانَ بابُها يُشْبِهُ بابَ هَذا الحَمَّامِ؛ فَمَرَّتْ بِهِ جارِيَةٌ لَها مَنظَرٌ. فَقالَتْ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلىٰ حَمَّامِ مِنجابٍ؟ فَقالَ: هَذا حَمَّامُ مِنجابٍ. فَدَخَلَتِ الدَّارَ ودَخَلَ وراءَها؛ فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَها فِي دارِهِ وعَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ خَدَعَها، أَظْهَرَتْ لَهُ

البُشْرىٰ والفَرَحَ بِاجْتِماعِها مَعَهُ. وقالَتْ لَهُ: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَنا ما يَطِيبُ بِهِ عَيْشُنا وتَقَرُّ بِهِ عُيُونُنا. فَقالَ لَها: السَّاعَةَ آتِيكِ بِكُلِّ ما تُرِيدِينَ وتَشْتَهِينَ، وخَرَجَ وتَرَكَها في الدَّارِ ولَمْ يُغْلِقْها؛ فَأَخَذَ ما يَصْلُحُ ورَجَعَ، فَوَجَدَها قَدْ خَرَجَتْ وذَهَبَتْ، ولَمْ تَخُنْهُ في شَيْءٍ. فَهَامَ الرَّجُلُ وأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَها، وجَعَلَ يَمْشِي في الطُّرُقِ والأَزِقَّةِ، ويَقُولُ:

يا رُبَّ قائِلَةٍ يَوْمًا وقَدْ تَعِبَتْ
كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلىٰ حَمَّامِ مِنجابِ؟

فَبَيْنَما هو يَوْمًا يَقُولُ ذَلِكَ، إِذَا بِجارِيَتِهِ أَجابَتْهُ مِن طاقٍ:

هَلَّا جَعَلْتَ سَرِيعًا إِذْ ظَفِرْتَ بِها
حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى البابِ

فازْدادَ هَيَمانُهُ واشْتَدَّ، ولَمْ يَزَلْ عَلىٰ ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ كانَ هَذا البَيْتُ آخِرَ كَلامِهِ مِنَ الدُّنْيا)[١].

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُوءِ الخاتِمَةِ!

---

(١) «الدَّاء والدَّواء»: ص٢٥٥. للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله (ت ٧٥١هـ).

٩٠



علامات حُسْن الخاتمة



حُسْنُ الخَاتِمَةِ: هي أَن يُوفَّقَ العَبْدُ قَبْلَ مَوْتِهِ للتَّوبَةِ عَنِ الذُّنوبِ والمَعاصي، والإِقبالُ على الطَّاعَةِ، وَلِحُسْنِ الخَاتِمَةِ علاماتٍ، منها:

* النُّطقُ بالشَّهادَةِ عِنْدَ المَوتِ؛ لقَولِ النَّبِيِّ ﷺ:

«**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

* أَن يرشحَ جَبينه بالعَرَق؛ لقَولِ النَّبِيِّ ﷺ:

«**المُؤْمِنَ يَمُوتُ بِعَرَقِ الجَبِينِ**»[2].

* أَنْ يَمُوتَ يَوم الجُمُعَةِ، أَو ليلَتَها؛ لقَولِ النَّبِيِّ ﷺ:

«**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ؛ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ**»[3].

---

(١) رواه أَبو داود: (٣١١٦).

(٢) رواه الترمذي: (٩٨٢).

(٣) رواه الترمذي: (١٠٧٤).

* أَنْ يَموتَ شَهيدًا في سَبيلِ اللهِ، أَو وهو مُرابِط في سبيل اللهِ، أَو يموتَ بإِحدىٰ الميْتات الَّتي يكون صاحِبُها في درجة الشَّهيد: وهي المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدْم والحريق، والموت بذات الجَنْب، والمرأة تموت وهي حامل، أَو بسبب الوضْع.

* أَن يُختمَ لَهُ بعملٍ صَالحٍ، كصيام يوم، أَو صدقة، أَو ذِكْر؛ لقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ ماتَ علىٰ شيءٍ؛ بَعثَهُ اللهُ عليْهِ**»[1].

* واعلم - أَخي الكريم - أَنَّ ظُهُورَ شَيْءٍ من هذه العلامات للميت، لا يلزم منه الجزم بأَنَّ صاحبها من أَهل الجنَّةِ، ولكن يستبشر له بذلك، كما أَنَّ عَدَمَ وقُوعِ شَيءٍ مِنْها للميتِ لا يلزم منه الحكم بأَنَّهُ غير صالح، أَو نحو ذلك؛ فهذا كله من أُمورِ الغيب علمها عند الله ﷻ.



(١) رواه مسلم: (٢٨٧٨).

٩١



الإيمانُ: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ



قالَ الإمامُ محمَّد بنُ إسماعيلَ البُخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ:

(لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ: مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَالْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ، وَوَاسِطَ، وَبَغْدَادَ، وَالشَّامِ، وَمِصْرَ؛ لَقِيتُهُمْ كَرَّاتٍ، قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، ثُمَّ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، أَدْرَكْتُهُمْ وَهُمْ مُتَوَافِرُونَ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً أَهْلَ الشَّامِ، وَمِصْرَ، وَالْجَزِيرَةِ مَرَّتَيْنِ، وَالْبَصْرَةِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي سِنِينَ ذَوِي عَدَدٍ بِالْحِجَازِ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، وَلَا أُحْصِي كَمْ دَخَلْتُ الْكُوفَةَ وَبَغْدَادَ مَعَ مُحَدِّثِي أَهْلِ خُرَاسَانَ، مِنْهُمْ[١]:... وَاكْتَفَيْنَا بِتَسْمِيَةِ هَؤُلَاءِ كَيْ يَكُونَ مُخْتَصَرًا، وَأَنْ لَا يَطُولَ ذَلِكَ:

فَمَا رَأَيْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ:

أَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللهِ:

(١) ويذكر أسماء العلماء، وهم أكثر من خمسين عالمًا.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]...)[1].

ثُمَّ يَسْرِدُ بَقِيَّةَ اعْتِقَادِهِمْ..[2].

---

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لِلإمام اللالكائي

(٢) **الإيمانُ** لغةً: التَّصديقُ، وإظهارِ الخُضوعِ والإِقرار. وشرعًا: جميعُ الطَّاعاتِ الباطنةِ والظَّاهرةِ؛ فالباطنة كأَعمالِ القلبِ. والظَّاهرة كأفعال البدنِ من الواجباتِ والمندوباتِ. وملخَّصُهُ: هو ما وقَرَ في القلبِ، وصدَّقَهُ العملُ، وبدَت ثمراته في الجوارحِ بامتثالِ أَوامرِ الله تعالىٰ، والابتعادِ عن نواهيه، فإذا تجرَّدَ التَّصديقُ عن العملِ.. فلا فائدةَ فيه، ولو كانَ التَّصديقُ المجرَّدُ عن العمل ينفعُ أَحدًا لنفع إِبليسَ؛ فقد كانَ يعرفُ حقًّا بأَنَّ الله تعالىٰ واحدٌ لا شريكَ له، وأَنَّ مصيرَهُ لا شكَّ إلىٰ الله تعالىٰ، ولكنْ عندَما جاءَه الأَمرُ الإلهي: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. لم يشفعْ لَه عِلْمُه بالوحدانيَّةِ والرُّبوبيَّةِ؛ لأَنَّه لم يحقِّق توحيدَ العبادَة الَّذي من أَجله خلقَ اللهُ الخلقَ؛ فالتَّصديقُ المجرَّدُ عن العملِ لا قيمةَ لهُ عندَ ربِّ العالمين!

فالإِيمانُ: قولٌ وعمَلٌ، يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ. وهو: قولُ القلبِ، وقولُ اللِّسانِ، وعملُ القلبِ، وعملُ الجوارحِ. فقولُ القلبِ: اعتقادُه وتصديقُه، وإِقرارُه وإِيقانُه. وقولُ اللِّسانِ: هو النُّطقُ بالشَّهادتَينِ، والإِقرارُ بلَوازِمِهما. وعملُ القلبِ: نيَّتُه، وتسليمُه، وإِخلاصُه، وإِذعانُه، ورجاؤُه، وخضوعُه، وانقيادُه، وحبُّه، وإِرادتُه. وعمل الجوارح: فعلُ المأموراتِ، وتركُ المنهيَّاتِ.



المصادر



١ - «**صحيح البخاري**»: الإِمام محمد بن إِسماعيل البخاري، المتوفى ٢٥٦ هـ.

٢ - «**صحيح مسلم**»: الإِمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى ٢٦١ هـ.

٣- «**سنن النسائي**» الإِمام الحافظ أَبي عبد الرحمن أَحمد بن شعيب الخراساني النسائي، المتوفى ٣٠٣ هـ.

٤ - «**سنن أَبي داود**» الإِمام سليمان بن الأَشعث السجستاني، المتوفى ٢٧٥ هـ.

٥ - «**سنن الترمذي**» الإِمام أَبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك السلمي التِّرْمِذي، المتوفى ٢٧٩ هـ.

٦ - «**سنن ابن ماجة**» الإِمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، المتوفى ٢٧٣ هـ.

٧- «**المسند**» الإِمام أَحمد بن حنبل، المتوفى ٢٤١ هـ.

٨- «**معجم الأَوسط**» سليمان بن أَحمد بن أَيوب الطبراني، المتوفى ٣٦٠ هـ.

٩- «**مسند ابن حبان**» محمد بن حبان بن أَحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أَبو حاتم البستي. المتوفى ٣٥٤ هـ.

١٠ - «**تاويل مُشكل القرآن**» أَبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى ٢٧٦ هـ.

١١ - «**كتاب الجامع لأَحكام القرآن**» الإِمام محمد بن أَحمد بن أَبي بكر بن فرح الأَنصاري الخزرجي الأَندلسي القرطبي ٦٧١ هـ.

١٢- «**تفسير ابن رجب الحنبلي**» للحافظ أَبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، المتوفى ٧٩٥ هـ.

١٣- «**السِّيرةُ النَّبويَّة**» أَبو محمد عبد الملك بن هشام بن أَيوب الحميري المعافري، المعروفة بسيرة ابن هشام. المتوفى ٢١٨هـ.

١٤- «**معرفة الصحابة**» لأَبي نعيم الأَصبهاني أَحمد بن عبد الله بن أَحمد بن اسحاق بن مهران الأَصبهاني، المتوفى ٤٣٠ هـ.

١٥- «**كتاب الطبقات الكبير**» محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المشهور بابن سعد، المتوفى ٢٣٠ هـ.

١٦- «**حلية الأَولياء وطبقات الأَصفياء**» الحافظ أَبو نعيم أَحمد بن عبد الله الأَصفهاني، المتوفى ٤٣٠ هـ.

١٧- «**الكامل في التَّاريخ**» عزالدِّين أَبو الحسن علي بن محمد ابن الأَثير الجزري، المتوفى ٦٣٠ هـ.

١٨- «**البداية والنهاية**» الحافظ عماد الدِّين أَبي الفداء إِسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى ٧٧٤ هـ.

١٩- «**كتاب تاريخ مدينة دمشق**، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأَماثل أَو اجتاز بنواحيها من وارديها وأَهلها» الإِمام العالم الحافظ أَبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، متوفى ٥٧١ هـ.

٢٠- «**كتاب تاريخ بغداد**» أَو «**تاريخ مدينة السَّلام**» المؤرخ العلامة أَحمد بن

علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، المتوفى ٤٦٢ هـ.

٢١- «**سير أَعلام النُبلاء**».

٢٢- «**تاريخ الإِسلام ووفيات المشاهير والأَعلام**».

٢٣- «**الكبائر**»: كلها للإِمام الحافظ المؤرخ أَبي عبد شمس الدِّين محمد أَحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذَّهبي، المتوفى ٧٤٨ هـ.

٢٤- «**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**» جمال الدِّين أَبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأَنابكي، المتوفى ٨٧٤ هـ.

٢٥- «**وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزَّمان**» أَبو العبَّاس شمس الدِّين أَحمد بن محمد بن أَبي بكر بن خلكان، المتوفى ٦٨١ هـ.

٢٦- «**تهذيب التهذيب**» الحافظ أَبو الفضل أَحمد بن علي بن حجر شهاب الدِّين العسقلاني الشَّافعي، المتوفى ٨٥٢ هـ.

٢٧- «**كتاب الوافي بالوفيات**» صلاح الدِّين خليل بن أَيبك الصفدي، متوفى ٧٦٤ هـ.

٢٨- «**الأَنساب**» الإِمام أَبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المعاني، المتوفى ٥٦٢ هـ.

٢٩- «**المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم**».

٣٠- «**صفة الصفوة**».

١٣- «**سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد**».

٣٢- «**مناقب الإِمام أَحمد بن حنبل**».

٣٣- «**أَخبار الظرف والمتماجنين**».

٣٤- «**الأذكياء**».

٣٥- «**المواعظ والمجالس**»:

كلها للحافظ جمال الدِّين أَبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد علي القرشي البغدادي، المعروف ابن الجوزي، المتوفى ٥٩٧هـ.

٣٦- «**المجالسة وجواهر العلم**» أَبو بكر أَحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، المتوفى ٣٣٣ هـ.

٣٧- «**المستطرف في كلِّ فن مستظرف**» شهاب الدِّين محمد بن أَحمد أَبي الفتح الأَبشيهي، المتوفى ٨٥٢هـ.

٣٨- «**كتاب العقد الفريد**» الفقيه أَحمد بن محمد بن عبد ربه الأَندلسي، المتوفى ٣٢٨ هـ.

٣٩- «**محاضرات الأُدباء**» الأَديب أَبو القاسم الحسين محمد بن المفضل الأَصْفَهَاني، المعروف بالرَّاغِب، متوفى ٥٠٢ هـ.

٤٠- «**تقييد العلم**» للحافظ المؤرخ أَبي بكر أَحمد بن علي بن ثابي الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣ هـ.

٤١- «**دُرر العقود الفريدة في تراجم الأَعيان المفيدة**» تقي الدِّين أَحمد بن علي المقريزي، المتوفى ٨٤٥ هـ.

٤٢- «**نشوار المحاضرة وأَخبار المذاكرة**» القاضي أَبي علي المحسن بن علي علي بن محمد التنوخي البصري، المتوفى ٣٨٤ هـ.

٣٤- «**نشوار المحاضرة وأَخبار المذاكرة**» القاضي أَبي علي المحسن بن علي علي بن محمد التنوخي البصري، المتوفىٰ ٣٨٤ هـ.

٤٤- «**الروض الفائق في المواعظ والرقائق**»:

العلامة الشيخ شعيب بن سعد بن عبد الكافي المصري المكي الحريفيش، المتوفىٰ ٨١٠ هـ.

٤٥- «**مجموع الفتاوىٰ**».

٤٦- «**الصارم المسلول علىٰ شاتم الرَّسول ﷺ**»:

للشيخ الإِسلام تقي الدِّين أَبي العباس أَحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام الحراني، المتوفىٰ ٧٢٨ هـ.

٤٧- «**زاد المعاد في هدي خير العباد**»

٤٨- «**مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين**»

٤٩- «**الوابل الصيب من الكلم الطيب**»:

للإِمام العلامة أَبو عبد الله محمد بن أَبي بكر بن أَيوب ابن قيم الجوزية، المتوفىٰ ٧٥١هـ.

❁ ❁ ❁

تمَّتْ بحَمْدِ اللهِ وفَضْلِهِ



الفِهْرِسُ







Step Ajans Matbaacılık Bosna Cad. No: 11

Bağcılar - İstanbul / Türkiye Tel (+90 0212) 446 88 46